

حامي الصحراء

أحمد بن عبد الرزاق حمودة



العقيد سي الخواص

جميع الحقوق محفوظة للناسر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

(سورة الأحزاب : ٢٣)

صدق الله العظيم



دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع
المنطقة الصناعية - ص.ب 193 - عين مليلة
هاتف : 98.95.47 (04) تلكس : (94208) هدى

الإهداء

إلى أبناء الشهداء، وأحفادهم،
وإلى كل من ساهم في تحرير وتقدم الجزائر،
أقدم هذه السلسلة المتواضعة.

م. ع. م.

- الثاني: ما يتصل بذلك الدور ميدانيا، وأعني عطائه في مستوى وأداء جبهة وجيش التحرير الوطني، أمام الحكومات والقوات الفرنسية، بعدتها وعتادها، والمدعمة بأوروبا - الحلف الأطلسي.

ويبقى لنا أن نقول، أننا نظل نتوق الى قراءة سير وقصص أبطال ثورتنا الخالدة، لنقف على حقيقة تضحيات أكثر من مليون ونصف مليون شهيد، ولنا أن ندرك، أن ما كتب ويكتب من أدبيات وتنظيرات ثورتنا التحريرية، سيشكل انعطافا كبيرا في تاريخنا الثوري، لأن ثورة غرة نوفمبر 54 نفسها، انعطافة عظيمة في النضال العالمي قديمه ومعاصره.

وأمل أن أكون في مستوى إظهار، تلك الصلة الوثيقة بين الطرفين في هذا الكتاب لتغدو وثيقة من وثائق ثورتنا الكبرى، التي تعبر عن صمود وتحدي شعبنا العظيم، وجيشنا المقدام، للاستعمار الغاشم في الجزائر.

وفي النهاية، لا يسعني إلا أن أعبر عن شكري وتقديري للجهود القيمة التي بذلها الأستاذ نوار مباركية في مراجعة الكتاب وإثارة الملاحظات البناءة التي انتبهت إليها، وأخذت بها، وكان لها الفضل الكبير في تطوير الكتاب نحو الأحسن والأفضل، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل المساهمين في طبع الكتاب وإخراجه بدار الهدى، وأخص بالذكر: عبد العزيز زلماطي، عمار بولزرقي، رابح جوبة ومحمد أولمارة.

والله هو الموفق وبه نستعين

م. محمد المصطفى مطمر

باتنة • بوعقال الثالث

29 ماي 1990 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المقدمات

بدأت فكرة كتابة سلسلة «رجال صدقوا» تراودني منذ أمد بعيد، وكنت أترقب كل فرصة ومناسبة لاستشارها في هذا العمل، لاعتقادي أنها - مجرد - رصاصة واحدة في حزام مجاهديننا الأبطال.

هذه السلسلة، محاولة جريئة للوقوف على مآثر كوكبة من أبطالنا البواسل، الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، بكل شجاعة وثبات، وقدموا ما يمكن تقديمه، ودفعوا أرواحهم الزكية الطاهرة، قربانا لتحرير الجزائر، حرة مستقلة.

إن هذه الصفحات، تحمل الكثير من غبار الحرب، وتمثل في مجموعها، وثائق يد لست، وعين رأت، وأذن سمعت، وكاتبها لا يهدف من وراء ذلك، إلا التذكير بأجدادنا الخالدة، وتوسيع دائرة المعرفة بتاريخنا التليد، وقلبه لا يهفو الى الحصول على شهادة ثناء، واعتراف محتومة، ولا يحلم بتصفيق الكتاب له، ورميه بالورود، كما يقولون، كما لا يفسره، إن وقع تحت منظار النقاد الفاحص الكاشف، لأنه يعترف، بأن لا أحد يملك الحقيقة كاملة تامة.

وسيجس القارئ الكريم، بأن هذه الصفحات تنساب في خط واحد، يجمعها ويبلور محتواها، إذ سميت إلى إخراجها في إطار موحد، لتبدو موضوعا متكاملا، يتصل بالثورة على محورين، هما:

- الأول: دور البطل في النضال والكفاح.

تعليمه الأول، إذ قرأ القرآن الكريم منذ صغره، وحفظ الكثير من آياته وسوره، فترى
تربية دينية، صقلت ذكائه، ووسعت من آفاق طموحاته.



الوادي .. والنخيل .. والجبل

أحمد بن عبد الرزاق حمودة
(1923 - 1959)

بداية الرحلة

في جبال الأوراس الشائعة، ترقد القرى العديدة، وقد مجبل الناس في هذه
الاصقاع على الأنفة والعزة، والهجمات المرفوعة كقمم الجبال، والقلوب الثابتة، التي لا
تهزها الرياح العاصفة، والأفكار الصافية، كالسما، حين تشرق عليها الشمس.

ومن تلك القرى الأوراسية، قرية «مشونش»⁽¹⁾ الجبلية، التي عاشت فيها أسرة
عالية القدر، موفورة الكرامة، تعود بنسبها إلى قبيلة أولا سيدي شعبان. وهي بطن من
بطون قبيلة بني بوسليمان «تكونت» وكان من أبناء هذه الأسرة، الشيخ عبد الرزاق بن
محمد أمقران بن إبراهيم بن حمودة.

في عام 1923 ولد للشيخ الوقور، ابن سماء على بركة الله أحمد، (وخير الأسماء ما
مُحمد ومُحمَّد)، فاحتفلت به الأسرة، التي بلغت المترلة العليا في نفوس سكان مشونش
«بني محمد» فقد كان الوالد معلما وإماما للزاوية⁽²⁾ العائلة، التي زاول الطفل الناشئ بها

(1) مشونش: تقع شمال شرق مدينة بسكرة بحوالي (30) كلم. وتتكون من عدة قرى، وهي: البليدة، القرارة،
الزمل، السوق، قرن عباس، مريش، مهوزي، أزقاغت، ونساب الوادي الأبيض بين حنايا نخيلها، ويختصها
الجبلان العتيقان «كوت» و«هبطراس» الشاهندان على الماضي والحاضر والمستقبل.

(2) زاوية أولاد سيدي حمودة: كانت تابعة للزاوية الرحمانية، التي أسسها سيدي الصادق بن الحاج
بجورمانين سيدي الصودي، وتولاها أولاده من بعده، إبراهيم، الطاهر، زهر، ولما أتباع ومريدين في عموم
الأوراس والجزائر والصحران.

وتوالت الشهور والأعوام، والطفل الفطن أحمد يكبر، وترعرع في ظل أبويه، اللذين يحنون عليه، ويتقيدانه بعطفها، فلم يبخلوا عنه بعطفها، لتلبية كل ما تتمناه نفسه، وما تنوق إليه، وكيف لا يكون له ما أراد، وهو ابن رجل شهم، مرموق المكانة بين أفراد عشيرته، وعظيم بين ذويه وقومه.

في عام 1937م توفي الأب المعلم والمرشد الأول، وها هو ذا أحمد، الشاب اليافع، الذي بلغ الرابعة عشر ربيعاً، يفجع بوفاة والده، بذلك كُتب له، أن يواجه الحياة بنفسه وحيداً، معتمداً على ذخيرته التي تشربها من مناهل إسلامية يانعة، وترى على هداها تربية قديمة صالحة، جعلته محبوباً لدى سكان القرية، إلى درجة أن أسموه «الشيخ الصغير» تقديراً وحباً، ولربما مداعبة.

وجد الشاب أحمد بن عبد الرزاق، نفسه أمام مهام كثيرة، ومسؤوليات جسيمة، وما لبث أن أكتمل نضجه، وتحطى مرحلة الشباب الأولى، المعروفة بعدم الاستقرار، عند أترابه وأقرانه، أما هو، فكان وديعاً، رزيناً، ويملك من الشجاعة وحسن التدخل - في انتقاد أعمال «قايده» مشونش وأعوانه وعملائه، مما جعل السلطة المتسلطة، لا تقوى على تحمل انتقاداته اللاذعة والصميمية، للوضع المزري، الذي طبع حياة الأهالي.



ألتقطت الصورة في زاوية سيدي حمودة، ويبدو من اليمين إلى اليسار: شعبان فحل أحمد بن عبد الرزاق، عبد الله بن عمار شاهدي، فاطمة عبدلي «صحفية» بجريدة الأوراس الأسبوعية وسيد أحمد غزالي أمام ضريح الشيخ عبد الرزاق، أثناء زيارته إلى مشونش في نوفمبر 1991 م.

سبليل البطولات

كما أن النهر، لا ينبع فجأة من جوف الأرض، ولا يتكون دفعة واحدة من ماء السحب المنهمر، وإنما يتشكل ويتجمع قطرة بعد أخرى، فكذلك الأمر بالنسبة لأحمد ابن عبد الرزاق، فجدور أصله، تضرب في أعماق تاريخنا العريق، ومن أجل توضيح ذلك، فإننا سنلقي نظرة خاطفة على صفحات من تاريخنا الثوري، المتأخر نسبيا.

بعد استيلاء قوات الغزو الفرنسي على قسنطينة في عام 1837م كان لزاما احتلال وإخضاع الجنوب الشرقي من عمالة قسنطينة، ومن ضمنها الأوراس⁽¹⁾ الذي اعتصم به أحمد باي⁽²⁾، وخليفة الأمير عبد القادر، محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج، ومن تبعها من المقاومين للاحتلال الفرنسي.

وإنه لمن أحكام الضرورة الفعلية، أن يتم هذا التنسيق الفعلي أو الإرادي، بين رجلين متنافسين على السلطة الشرعية والقيادية، ومن أحكامها أيضا أن يلتجئ كل منهما إلى قلب الأوراس، إذ بينما كان أحمد باي مقبلا في عام 1844م بقرية منعة⁽³⁾ عند عائلة ابن عباس، صاحبة الزاوية القادرية، كان محمد الصغير خليفة الأمير عبد القادر، نازلا بقرية تارة⁽⁴⁾ المواجهة لها، وسط عائلة ابن حبارة، والتي اتخذ منها محطة لذخائره، ومركزا لمؤناته.

(1) تطلق كلمة الأوراس جغرافيا، على المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة فمالا وخنشلة وزريعة الوادي شرقا، وزريعة الوادي وسكرة جنوبا، وباتنة غربا، بحيث تكون شكلا رباعيا بطول مائة كيلومتر للضلع الواحد.

(2) أحمد باي: آخر بابايات قسنطينة كان عهده من 1826 - 1837.

(3) قرية منعة: تقع على بعد (80) كلم. إلى الجنوب الشرقي من مدينة باتنة.

(4) قرية تارة: تقع على بعد (05) كلم. عن الطريق العام: باتنة - منعة، ويحدها الجبل الأزرق. تتكون من ثلاث قرى: قرية أولاد سيدي عبد الله، قرية تارة، قرية زالاوش.

وقد أدرك الفرنسيون، معنى وجود القائدين في منطقة، عرفت كمهد حاضن للثورات عبر التاريخ، فقرروا دخول الأوراس، وتتبع هذين البطلين بجيش كبير، ضم جنرالات وعقدهاء، وقادة برتب مختلفة، وعلى رأسهم الجنرال بودو (Beauvau) والجنرال لوفاسور (Levasser) والعقيد ماكماهون (Mac-Mahon) والعقيد بوتافوكو (Buttafoco).

(2) وتوجهت القوات الغازية من قسنطينة إلى الجنوب الشرقي⁽¹⁾ بقيادة الدوق دومال (Duc-dumale) وفي طريقها واجهت مقاومة عنيفة من سكان المناطق التي مرت بها، ووصلت إلى موقع باتنة⁽³⁾ في 04 فيفري 1844م، فكوتت معسكرا لقواتها، كمرحلة أولى، وقد أشرف على تنظيمه العقيد (بوتافوكو)، وواصلت الحملة زحفها جنوبا عبر ممر القنطرة إلى بسكرة، فتم احتلالها في 04 مارس من العام نفسه.

بعد تمركز القوات الفرنسية ببسكرة، وتكوين معسكرها بها، بلغها أن مقاتلي الأوراس، يعدون العدة لمهاجمتها وتحرير المدينة. ففي 15 مارس 1844م، خرجت قوات من الحملة بقيادة (الدوق دومال) متجهة إلى بوابة الأوراس الجنوبية، قرية مشونش، التي تجمع فيها المجاهدون من مختلف قبائل⁽⁴⁾ منطقة آرس، بقيادة محمد الصغير، خليفة الأمير عبد القادر بالأوراس، ومشاركة سيدي إبراهيم من سيدي

(1) بعد احتلال قسنطينة، استمرت عاصمة للشرق الجزائري.

(2) الدوق دومال: ابن الملك لويس فيليب، وقد كانت فترة حكمه لفرنسا من 1830 - 1848. للمزيد من التفاصيل انظر محاضرتنا، الاحتلال الفرنسي للأوراس (آرس) (1844 - 1844) محاضرة أقيمت في الملتقى التأسيسي لآرس بين أمس واليوم، المنعقد في الفترة (26 - 28 جوان 1988) ونشرت بالأعمال الكاملة في كتاب «تاريخ الأوراس» دار الشهاب، باتنة 1990.

(3) تموقعت القوات الغازية، أول الأمر في مكان يعرف باسم (الكا) (Camp) بالقرب من المسجد العتيق حاليا، وهو النواة الأولى لتكوين مدينة باتنة.

(4) تتكون منطقة آرس من القبائل التالية: سكان مشونش، (بني محمد)، سكان وادي عبيد والوادي الأحمر ووادي الطاقة (أولاد عبيد وأولاد سعادة) وسكان الوادي الأبيض (الثواب) وسكان جبل أحمر (بني بوسليان ولغواسير والسراخنة والشرفاء وبني ملكم وأولاد أيوب وأولاد زدارة وأولاد عبد الرحمن كبايش وأولاد سليمان بن عيسى).

الصادق بن الحاج، لتحريضهم على المقاومة والثبات، متخذين من زاوية أولاد سيدي حمودة، مقراً للقيادة.

كانت المواجهة شديدة وضارية لأنها كانت أول رد فعل مباشر، يواجه المعتدين في الأوراس، وقد صمد المجاهدون أمام جحافل الأعداء، نصف يوم كان مشهوداً، وأصيب أثناء الاحتدام النقيب اسبيناس (Espinace) بأصابات بليغة، تدهورت بعدها قوات العدو بسبب شدة المقاومة، وتراجعت إلى بسكرة، بعد تكييدها خسائر معتبرة، وبذلك فشلت محاولة اختراق الأوراس من الجنوب، وأعيد النظر في إمكانية تعديل خطة الهجوم.

وقد دون أحد جنرالات العدو، تقريراً عن هذه المعركة الضروس، تقتطف منه السطور اللاحقة. التي قدّر فيها بسالة أهل مشونش في الدفاع عن الأرض والعرض، وفيهم يقول: (إنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم وغيلهم، ولا يستطيعون التقل والرحيل كقبائل الرحل... إن المعركة التي خاضناها مع المقاتلين في مشونش، تعطي لنا الدليل على الدفاع المستميت الخبيث، وقد وجدنا مقاومة عنيفة، ورجالاً عبيدون، يدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم، ورجلاً برجل على سطوح منازلهم الملتصقة، لخالها، وكأنها شرفات بعضها فوق بعض⁽¹⁾).



ويلات الحرب

كانت الحرب الكونية الثانية، أعظم العوامل التي أثرت في حياة أحمد، فقد عايش سعي ويلاتها، وشاهد كيف يُرَجَّج بأبناء الجزائر أفواجا في الشاحنات، بلا أدنى اعتبار. ويُدفع بهم إلى جبهات القتال، بدون أبسط تدريب، ليكونوا الطعم السهل، والحطام المشق والوقود الملتهب، في محارق خطوط الدفاع⁽¹⁾ عن شرف فرنسا وكرامتها المداسة، تحت أقدام النازية الرزينة.

لم يهدأ بال أحمد، والجزائر تدفع بخيرة شبابها، تباعا في أفواج متتالية، لا تنتهي إلا بالموت المحتم، لذلك كان عليه، أن يعمل بهدوء وحكمة، حتى لا تبطش أيادي الغدر، وما أكثرها، وأطولها، وأبى أن يقف أمام أصناف الظلم والإرهاب، موقف المشاهد العاجز، فاتجه إلى موقف آخر، هو الجنوح للرفض والتمرد، فكانت عُذُّهُ تكمن، في ما ينمُّع به من فكر نير، وشجاعة نادرة.

وكان كلما أعاد التفكير في القضية، التي أرهقته إلا ووصل إلى نفس النتيجة! وهي العمل، وعزم، على تهيئة الظروف، وإعداد العُدَّة لليوم الموعود، وبذلك خرج من مرحلة التدبير إلى دائرة القرار، الذي لا تننيه العراقيل، ومهما عظمت عن تنفيذه.

في عام 1943م كان هناك حدث كبير في حياة أحمد بن عبد الرزاق، فقد كان زواجه، حيث تزوج من ابنة عمه عائشة، ومنها أنجب، الطفلة فاطمة. وتزوج ثانية عام 1944م من يمينه أعراب، فكان أبنائهم، منها على الترتيب، هم: الوزرة، عبد الرزاق، شعبان، ونزينة⁽²⁾ المعروفة بـ«فتيحة».

(1) من أهم خطوط دفاع فرنسا ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية، خط «ماجينو» الذي يمتد على طول الحدود الشرقية لفرنسا من حدود سويسرا إلى حدود بلجيكا، بدأ إنشاؤه أندريه ماجينو وكان وزيرا للحربية (1929 - 1930) أثبت هذا الأسلوب عقمه حينما استولت القوات الألمانية على جناحه في عام 1940. (2) أثناء انتهائنا من اللسمات الأخيرة من الكتاب، فوجئنا بغير الحادثة المفجعة، التي أدت بحياة نزينة والمقدم حمودة عاشوري، وكان ذلك يوم 30 ديسمبر 1989 في منطقة شلفوم العيد، رحمها الله، وأسكنها فسيح جناته.

مخازي المنهارين

في شهر ماي 1945م وضعت الحرب الضروس أوزارها، وتخلصت فرنسا من قبضة الألمان الخائفة، وتحررت بفضل الحلفاء ومقاتلي إفريقيا، وعزَّ عليها أن يردد على مسمعها، ما مفاده: أنها استنجدت بجيش من إفريقيا الشمالية للدفاع عن وجودها أمام المد الألماني، وأنها خاضت حرب التحرير والخلاص بدماء غيرها من الشعوب وأرواحها، ولم تقبل أن يسجل التاريخ أن باريس، هوت⁽¹⁾ مستسلمة مستكين، أمام جحافل برلين الزاحفة، بلا تردد ولا تراجع وإلى الأمام، حتى قوس نابليون المنتصر⁽²⁾، بل لقد بارك الشعب، يد هتلر الممدودة على بلاد الغال، باسم الحكومة الجديدة⁽³⁾.

(1) للمزيد من التفاصيل، انظر: تاريخ ألمانيا الحديثة، خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966، ط2، ص 356 - 358.

انظر كذلك، موسوعة تاريخ العالم، وليام لانجر، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1971، ج 8 ص 3002 - 3003، نذكر بعض ما ورد بإيجاز:

- في 17 - 21 ماي 1940، اندفعت الفرق الميكانيكية الألمانية بعنق في شمال فرنسا.
- في 16 جوان 1940: سقطت بولونيا في يد الألمان.
- في 10 جوان 1940: غزت القوات الإيطالية جنوبي فرنسا.
- في 13 جوان 1940: أخلت باريس أمام التقدم الألماني المستمر.
- في 16 جوان 1940: سقطت قلعة فردان الفرنسية.
- في 22 جوان 1940: وقعت الهدنة بين الألمان والفرنسيين، تضمنت نزع سلاح القوات الفرنسية، ووضع ثلاثة أخماس فرنسا تحت السيطرة الألمانية.
- في 04 جويلية 1940، استولت بريطانيا على جميع السفن الفرنسية الراسية في الموانئ الجزائرية بعد تدمير معظمها.
- (2) قوس النصر (l'Arc de triomphe) تعرض وقتها لإهانة ما بعدها إهانة.

(3) تعني حكومة (فيشي) التي حكمت فرنسا بعد سقوط باريس عام 1940، وأصبحت موالية لألمانية النازية، وبعد إزال الحلفاء بالجزائر سنة 1942، احتل هتلر كل فرنسا، وظلت حكومة (فيشي) في الحكم حتى الهزات عام 1945.

وهذا يعني أن إيان فرنسا بنفسها انتهى⁽¹⁾، وانتهى من ثمة استقلالها، أمام الحلفاء والعالم، نتيجة الصدمات العنيفة التي تلقته من الألمان، وتركتها غارقة في حالة من الوجوم واليأس في أمل التحرير.

ورأت فرنسا في كبريائها عارا وشنارا، وتصورت بأنه لا يمحي إلا بالدماء والدمار، فهرعت نحو الانتقام الأعمى، فكانت المجازر المروعة والمذابح الرهيبة، التي يبيض من هولها الغربان، مجازر من فقدوا كرامتهم، وكل شيء، وأرادوا الغوص في الجرائم، حتى يثبتوا إنسانيتهم، وكان لهم ذلك في سطيف وقلمة وخراطة والمدن الجزائرية الأخرى⁽²⁾.

لقد قَدَّم الشعب الجزائري، فَلَذَاتُ أكباده ضحايا على مذابح الحرية بسخاء، لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل، ولقد أعطى للإنسانية، أمثولات خالدة في الإباء والصبر، والشجاعة والاستمرار في الكفاح، أمثولات يقف أمامها وطويلا، مئات الملايين من بني البشر، احتراماً، وتقديراً لعظمة الشعب، الذي منحها ومجاناً، كنموذج رائع من نماذج التفوق على الألم والخوف والقسوة.

(1) لم يحدث في التاريخ أن سلم قوم عاصمتهم للأعداء، وهنا أسرد حادثة ولأني لم أجدها في مرجع آني، لكنني أحفظ بها، وقد ذكرها في محاضرة الفلسفة اليونانية، الدكتور حازم طالب مشفاق في جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة عام 1974.

حدث أن زحفت جيوش فارسية تعد بعشرات الآلاف لاحتلال أثينا، ولم يكن لدى الإغريق جيش للدفاع عن مدينتهم، وهنا تطوع عشرة رجال، وقالوا: لن يمر الغزاة بدون مقاومة، وبرزوا للآلاف بلباس الفرسان الشجعان، ملوحين بالسيوف في أيديهم، وقالوا للمهاجمين، سنبيدكم: بارزونا ألف مقابل واحد أو خمسة آلاف أمام اثنين أو كلكم إلى عشرة ١١ ولكن لم يمهلهم، فامطروهم بالنبال فقتل العشرة في الحين، ونفوا اثنين كالأشجار التي تموت واقفة.

إلا أن التاريخ سجل أن عشرة فرسان إغريق، قابلوا وقاتلوا عشرات الآلاف من جيوش الفرس، ودافعوا عن عاصمتهم دفاعاً مستميتاً، وقد وجد الكتاب والشعراء في الحادثة: مادة غصبة لكتاباتهم وشيخهم، فكانت الملاحم والروائع الخالدة، والأساطير البطولية الطويلة التي تروي مقاومة هؤلاء الشجعان.

(2) انظر: الجزائر عبر الأجيال، أبشع مذبة بشرية القاضي الجزائري مسعود مجاهد، ص 277 وما بعدها.



باريس سنة 1940 م، ويبدو المسرح فارغاً من رواده.

جزاء الجزائريين

إن كل طلقة من الطلقات النارية، التي يردى بها العساكر الفرنسيون، طفلاً من أطفال الجزائر، وفناة من فتياتها، أو شيخاً من شيوخها، أو امرأة من نساها، إنها ترتد على فرنسا بالذات، إصابة قاتلة، لتجر مجدها حتماً إلى أسفل سافلين، وتردمه في قبر من قبور التاريخ.

وفي آخر المطاف، لا يبقى من ذكريات فرنسا، غير ذكرى الجريمة، التي يرتكبها زبانية الفرقة الأجنبية، والمظليون، الذين تجتمع في نفوسهم، غطرسة الإستعمار في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

وإذا كانت فرنسا قد أقدمت على إبادة الألوف من الجزائريين، عن سابق إصرار وتصميم، فإن الجزائر، هي الأرض التي تصنع مصير فرنسا الأسود، إنها المقبرة الواحدة، التي تستقبل في كل يوم جزء من الروح الفرنسية، لتلقفها في غياهب النسيان التاريخي⁽¹⁾.

إن الفكر النير الذي قاد أبناء الجزائر إلى الثورة، نجد له روافد لا تنضب، ومن أشهرها ما لحقه هذه السطور التي كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي في عيون البصائر عام 1948م لتثير طريق الملايين من المضطهدين والمحرومين، وتدعوهم إلى الثأر وتحمل الأمم والصير على المدون ومواجهة الحديد بالإيمان العنيد، والقلب الصابر، والاستمرار في تقديم الضحايا حتى النصر الأكيد، إذ أنه قال:

«لست أرى أيها الإصهار، أهلاً جزاء من استجده في ساعة العسرة، فأجده، واستصرحت حين ألفت بالعم، فأرجله، أهلاً جزاء من كان يسهر، وأبناؤك نيام، ويجمع

(1) هو نفس الظرف الذي سمى به عدد، الجزائر عبر الأجيال، المرجع السابق، ص 192.

أهله، وأهلك بطنان، وثبت في المواقف التي تطير فيها نفوس أبنائك شتاء، أشتاءك إلى ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله، بعد أن شاركك في النصر، لا في الهزيمة، ولعل فرحه بانتصارك متساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلاً، والأم مهنونة من الفرع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلة مقلقة، والعرض متهكاً، والمال نهبا مقلها، والصغار هالعين في العراء.

يوم (8 ماي) يوم مظلم الجوانب، مطرز الخواشي بالدماء المثلولة، مقشر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، علمت فممه طبيعتها، فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع، فلا نمر ولا نور⁽¹⁾ ونجت حقيقته عند الأكلام، فلا تصوير ولا تدوين.

يا يوم ... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحي، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أمة سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل ما لك علينا، من قَبْن، أن تُحيي ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب، أن تُنَوِّن تاريخك في الطروس⁽²⁾ لتلا بمسحة النسيان من النفوس⁽³⁾.

(1) النور أو التوار، نوز الشجرة الواحدة نؤارة، وهي صورة من الأضداد، وخرج من صرح صرح (كسيلة القسح).

(2) الطروس: الصفحات التي حبت ثم كتبت.

(3) عيون البصائر، الشيخ عبد البشير الإبراهيمي، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 192 - 193.

محنة الوطن

في ربيع عام 1947م عمل أحمد بن عبد الرزاق، على تنظيم لقاء سياسي يداره، لغرض عرض فكرة الكفاح المسلح⁽¹⁾ التي كانت لا تهضم إلا بعسر، ولا يزال مفهومها في تطور رحيم، كما قال أحد المفكرين.

وبالرغم من هذا، عزم صفوة من الشباب الواعي، المؤمن بقضيته العادلة، على اللقاء في ظروف قاهرة، مما يدل على مدى نضج الفكرة لديهم، والتي سيعملون على تحقيقها عمليا، وفلا كان الاجتماع، وقد ضم: مصطفى بن بولعيد (آريس) أحمد بودة (برج منابيل) محمد محفوظ (تيسة) محمد عصامي (بسكرة) محمد الأمين دباغين (العاصمة) محمد الشريف قاسمي (تيفال) عبد الله بن حيلس (سطيف).

وفي مطلع عام 1948م كون أحمد خلايا سرية سياسية عاملة في الجهة، نذكر طلائع بعض مناضليها: إبراهيم زروال، عمار بن عمرو قرقب، إبراهيم جيماي، عمار بن محمد شاهدي، الصالح أعراب، لخضر بن لعل قطوشي، علي بلحاج بن جديدي، أحمد عيلى، الحسين عبد السلام، محمد بن المسعود بلقاسمي والمناضلة مهنية سي العابدي⁽²⁾، أو (مهنية أوث ززارة) كما يعرفها أهل المنطقة.

(1) تريد أن تسجل من أساتذة مولود قاسم نايت بلقاسم، ما ورد في كتابه: ردود القمل الأولية داخلا وخارجا على فكرة نوفمبر أو بعض أفكار قاص نوفمبر من 34، حيث ذكر المفاجأة المدهشة التي قام بها الزعيم، أحمد الحاج مصالي جهارا وأول مرة بالجزائر في المطالبة بالاستقلال، وخلال الخطاب التاريخي يوم 19 جويلية 1936 بالملعب الذي بنى في الجزائر.

والفتوى والإفتاء أن حزب نجم شمال إفريقيا الذي أسسه الحاج مصالي كان شعاره الاستقلال التام للجزائر السحاب لمرات الاحتلال لتشكيل جيش وطني.

(2) استشهد هؤلاء المناضلون في ميدان الشرف والكرامة أثناء الثورة، عدا الأم مهنية، فإنها ما تزال حية شاهدة، لديها وعيها الكبير عن القربى وبعض جوانبها التي لم يسلط عليها الضوء بعد.

التجارة الراححة

كان على أحمد بن عبد الرزاق لزائما، أن يستقل في منطقة الأوراس، والسفر في جهات الوطن، وبحكم عمله في التجارة، سهّل له الاتصال بأصحاب النفوذ، والكلية النافذة، فتعرف على بعض التجار والأعيان، الذين أحبوهم لعلمه، وحسن خلقه، وإتقانه لعمله، منهم: العفي بن عمار، علي حملات، محمد بن قانة، سي الحسين رزقي، محمد العيد بوليفة، سي البشير عاشوري، الحاج الشاوي، معمر ميدة، عطية جحيش وأحمد جرجار وغيرهم، واستطاع بدأبه ونشاطه، أن يرتفع إلى مصاف أهل الشأن والرأي.

بذلك، تمكن أحمد، من أن يلتقي ببعض أعضاء الحركة الوطنية، أمثال: محمد العربي بن مهيدي، الحكيم أحمد الشريف سعدان، مصطفى بن بولعيد، أحمد محساس، محمد عصامي⁽¹⁾، محمد بلوزداد، الأمين دباغين وعبد القادر لمعوي لخضر قريزي، الصالح مختاري وآخرين ..

لقد تعرف على هؤلاء، ونسق معهم أعماله، التي كانت تحتاج لكثير من الجهود المضاعفة، وكان أول من أدخل إلى الجهة المطبوعات السياسية المناهضة للاستعمار، والمنشورات التي توزع من لدن الحركة الوطنية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كانت مشونش، ولا تزال تحتفظ بترائها العريق، ففيها تأسست أول مدرسة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عموم الأوراس، وكانت منبرا لمشايع فضلاء وعلماء

(1) محمد عصامي، من السياسيين الأوائل الذين حملوا لواء الكفاح المسلح، في الأوراس والجزائر والصعيد. كان له دور كبير في دفع الحركة الوطنية للثورة، قام بتهام سياسية تاريخية، وأعمال حربية مشهورة، فيها كثير من البطولة النادرة، التي تتم عن استمداده للفتحية في سبيل الله وتحرير الجزائر، حدثني عن أمور تتعلق به تسجل في صفحات خالدة.

أجلاء، نذكر منهم: عبد الواحد وحدي، عمار عباس، أحمد تيمقلين السرحالي، عيسى بجاوي الدراجي، زكريا حمودة⁽¹⁾، مولود مطمر، عبد الوهاب حدلانة، أحمد بورمل ومحمود بن عمر وغيرهم.

لقد عمد هؤلاء إلى تعليم الصغار والكبار في الجوامع والزوايا^(*) والمساجد، تحت بصر الاستعمار ورغم أنفه، الذي كان يعمل على نقل الجزائر من مرتبة «مستعمرة» إلى مرتبة «مقاطعة» حيث يتمتع الجزائريون بصفة «مواطن» فيكون لهم من الواجبات والحقوق ما للفرنسي المسيحي¹⁹.

ولكن هبّات، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمرصاد للدخلاء، وتخطّط الإستعمار الإجرامية، فالتعليم الصحيح، الذي قاد حملته الشيخ عبد الحميد بن باديس، قد بدأ يؤثّر ثارته، إذ أثار في الجزائريين، الثقة بالنفس. وألّب صدورهم بالمزم على الثورة، وأمدّهم بالأمل الكبير النير.

إن المبادئ العالية التي عمل من أجلها الإمام عبد الحميد بن باديس وصحبه الميامين، قد أثمرت الآن، فكان طلاب العلم في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمشونش ثوارا وجنودا وقادة، وصاروا أكثر صلابة وعزما ومضاء في وجه الطغيان، وقدموا أرواحهم الزكية الطاهرة في سبيل الله وتحرير الوطن، ونذكر بعض هؤلاء الأبطال الشهداء: عبد الله بن الحاج المحبوب خلاف (طامزه)، علي بن العيد بوراس (مشونش)، الحسين بن الخليل بن عكشة (زلاطو)، أحمد بن محمد جريدي (طامزه)، عبد الكريم عباس (مشونش)، عبد المجيد بن عبد الحفيظ بلرة (كيسل)، عبد الحفيظ بن محمد الصالح خلاف (طامزه)، والمبارك غبروري (بابوس) وغير هؤلاء الأبطال.

(1) نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدرسة مشونش.

(*) من أهم الزوايا العاملة في مشونش أثناء الاحتلال: زاوية سيدي حسره بالرميل، (زاوية سيدي بركات بالقرواء، زاوية سيدي عبد الله بالبلدة، وزاوية سيدي علي بن يحيى بسلج بعل، «مستعمرة».



الشيخ أحمد تيمقلين السرحالي
(1912 - 1968)

ل. 6961 لم. 1949
 ج. 1949 لم. 1949
 ج. 1949 لم. 1949

ج. 1949 لم. 1949

ج. 1949 لم. 1949

ج. 1949 لم. 1949

الهجرة في الهاجرة

أصبح الشاب أحمد بن عبد الرزاق في مكانة اجتماعية بارزة، وصار يشار إليه من قبل الإستعمار وأعوانه، بأصابع التهمة، ويصفونه به الخطيرة الذي يجب أن يوضع حد لنشاطه وتحركاته، إلا أنه في صيف 1949م، عبر البحر في مهمة سياسية إلى فرنسا، ليتابع نشاط الحركة الوطنية في الخارج، وبفؤت الفرصة، ولو مرحليا على عيون الإستعمار، التي كانت تراقبه في حركاته وسكناته.

وما يروى عنه، أنه كان ذا شخصية قوية، لها قابلية على التأقلم مع الظروف والمحيط، فتراها سائحا⁽¹⁾ ملتجيا، يقطع المسافات الطويلة بحقيقته الظهيرة (Saccades) بلا كلل أو ملل، باحثا ومُتحررا عن شيء ماء، عله يلقاه أو يجده، بين ثنايا الأرياف، والمسالك الوعرة، وتصادفه طورا، شخصا كادحا كإخوانه الآخرين، يطلب العمل من مكاتب الشغل والشركات الاستعمارية، ينتظر الليالي الطوال، لا يخفض له جفن ولا يصيه الوهن، حتى ليخال للمرء، أنه في مهمة عادية⁽²⁾، وتلقاه أحيانا تاجرا ماهرا

(1) لقد لقب أحمد بن عبد الرزاق بـ (الحواس) لأنه كان يكثر من التجوال. إذ أنه يقطع يوميا أحيانا مسافة (75 كلم).

(2) قال الراوي: المجاهد حسنة بن أحمد الطنطاوي أن أحمد بن عبد الرزاق، قال له: (سأقرب مرة إلى سكرة قبل اندلاع الثورة في مهمة لغالية حزية، ولكن تمت وشاية لي للسوء، فاضطرت إلى مغادرة سكرة، متكررا في لباس امرأة، بمساعدة شخص يدعى لكي، كان له متجرا أصله من وادي سوف، ومن سكرة المجهت إلى وادي وفي المدينة، أشبه في العنود، وأحسنت أن عيونه تلاحتني، فالتحرت أن أتكر في باب حصول عقلت من أحد المسؤولين أن يستدني ليابه الرثة يثلي فاني أول الأمر، ثم فعل بعد أن دلفت له مبلغا من المال وصرت أتحرك في الشوارع وأدخل المقاهي في حالتي تلك المزرية أسأل الناس الصدقة، فكان كلما أعطيت صدقة أشعر بالخطر، إلى مقر الشرطة، أجد الإعلانات ملصقة بالجدران بها صورتي واسمي، ولكن لشدة تنكري كان الشرطة يترقبوني كما رأوني أعزب منهم منسولا، إذ فرأوا لحائي البنية، فكنيت أظاهرم لأحذر أوسع الأماكن لشدة عدايتهم، ثم أعاود الكرة سائلا الناس الصدقة، إلى أن أنهيت مهمتي التي كنت مكلفا بها).

نقلا عن مجلة أول نوفمبر للسان المركزي للمنظمة الوطنية للسلامة، العدد 91، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

محتكا، يحمل ساعة ذات سلسلة ذهبية ثمينة، متدلية من جيبيه، يُوقَّع الصفقات مع رجال الأعمال... الخ.

ويقال، أنه كان يحرزته قميات تنقل، وجوازات سفر، متنوعة المهن والمهام، منها بطاقة، تحمل اسم شخصية يهودية، استطاع أن يتعامل بها مع التجار اليهود، ويتعرف على كثير من الغلاة الفرنسيين، ويعرف بعض الجوانب الجانية من أسرارهم، ويكشف أساليب مكائدهم.

لقد طال مكثه في فرنسا، دون أن يتحرك كثيرا، وهو الذي ما عُرف عنه الركود يوما، وما لا ريب فيه أنه اكتسب في هذه الفترة، الطويلة نسيئا، شيئا آخر غير المغامرة الحادة، بل أدرك أن الفرنسيين لا يمكن أن يفهموا يوما، أن شعب الجزائر، له كل الحق في الحرية والاستقلال.

وفي شتاء 1953م عاد الشاب المهاجر (سي الحواس) إلى وطنه المكبل، وهو يحمل معاناة وآلام الجزائريين الذين يعاملون على أساس، أن يكون في خدمة أهل البلاد ورفاهتهم، وبين الجزائري دالما، عرضة للتفتيش والإرهاب والمتابعات من قبل الشرطة والبوليس⁽¹⁾ السري الفرنسي.

عاد وقد عرف أن فرنسا انهزمت شر هزيمة، أمام هتلر في الحرب الأخيرة، وأنها تلقت عدة لطايات ثأدية في الهند الصينية، وأنها امتنست، ولا زالت تستنسر في الجزائر، وتتوارى في ثوب النعامة بل الحبارى⁽²⁾ في غيرها.

(1) تستند فرنسا على جهاز بوليسي رهيب، ينقسم إلى عدة فرق هي: القوة الضاربة، وبوليس أمن الدولة، وقوة المخابرات، وقرعة المباحث العامة، وهي جهاز قمعي، يقسم جيش من الصلاء، وجيش من المجندين سري ثم بشكل آخر.

(2) لأن النعامة، هي منقذات جهده منها طرد سائرها وسرقتها وقامتها، وكبر يفضنها التي تعادل ما يقارب (140) ألفا من البشر المحتاجين.

أما الحبارى، فهي طائر أكبر من النعاج، وأطول عظام، ويحرب به القمل في البلاء لأنها إذا غيرت عشها يفسد ويحسب بغير فائدة، وقد قالت العرب: (ألمة من الحبارى) وهذا الطير ينفذ للعصف ليعاره من شدة الحرب.

وفرنسا نفسها تفهم هذا جيدا، ولكنها تتهاذى في طغيانها على الشعوب العرلاء. فهل من المنطق السليم، أن نصف فرنسا بالحقبة والنذالة والوقاحة والخور والحق أيضا. وهي نفسها مقتنعة، بأن سياستها قائمة على مزيج من هذه الصفات الدنيئة التي لا تكثر، إذا هي وصفت بها آلاف المرات... بل ملايين المرات⁽¹⁾.

لقد أظهرت الأحداث، أن الشعب الجزائري، ما خضع ولا استكان يوما لإرادة فرنسا وأعوانها، فلقد أغرت نار الثأر والثورة صدره، وألهمت كبرياءه وكرامته، فراح يستجمع قواه، ويوحّد صفوفه لمواجهة أعدائه المستعبدين (بفتح الباء) للإمبريالية العالمية، وكان الشعب لا يفتأ يعبر عن مسخطه وكرهه للإستعمار، معبرا عن إرادته بلا تردد. وفيه من روح النضال والإستماتة في سبيل الله والوطن، ما جعله يثور كالثور⁽²⁾ عسلاقا مُرِعِدًا في وجه أعداء الحياة والبشرية.

(1) هذا لسان حال كل أبناء الأمة العربية والإسلامية الأحرار أثناء الحرب.

(2) الزبال (جميع) رابل ودابل ودابل ودابل ومسته: الأسد.

اليوم الواحد

دقت ساعة الثورة، في هذه الليلة من غرة نوفمبر 1954م في كامل أرجاء الوطن، معلنة للعالم أجمع، بأن عهد الإستعمار في الجزائر قد مضى وانقضى، وسمع العالم بصوت الثورة الجزائرية، صوت الشعب الجزائري، في الساعة الواحدة من اليوم الواحد، الموافق للشهر الحادي عشر من عام أربعة وخمسون وتسماية وألف.

وتناقلت وكالات الأنباء، وقائع الليلة الغراء، مع التعاليق المختلفة على زمن وقوعها، ونوعيتها وأهميتها، مؤكدة أنها بداية لعمليات واسعة، محكمة التنظيم قوية المفعول.

وما إن غلّ مساء هذا اليوم التاريخي، حتى كانت إذاعات العمورة، وفي مقدمتها إذاعة صوت العرب من القاهرة بصوت المذيع أحمد سعيد، يقصف، بل يعلن بقوة، قوة الحق، اندلاع الثورة الجزائرية⁽¹⁾. وسمع العالم لأول مرة نشيد الأحرار الجزائريين يلوي ليردد:

من جبالنا طلع صوت . الأحرار، بناديننا للاستقلال

ويقوم وفد الجزائر في القاهرة، بقراءة أول تعليق له بعنوان «الثورة تنفجر في الجزائر» وفي تونس كان عيسى مسعود، الصوت الحادر يجلجل، ليعلم أن الثورة عارمة، لا مَرَد لها من قبل الإستعمار، وفي مراكش كان محمد بوزيدي يوالي نداءات الثورة، التي كانت

(1) انظر: الثورة الجزائرية في عامها الأول، الدكتور محمد العربي الزبير، دار البحث قسنطينة، 1984، ص 117-148.

أيضا: الثورة الجزائرية، الهادي مصطفى طلاس، لتقديم سام السليل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص 30-83.

صواعق على الأعداء. وإذاعات: العراق، ليبيا، سوريا، أفغانستان⁽¹⁾، والمجر (إذاعة بودابست) قطعت برامجها، لتبث خبر اندلاع الثورة في الجزائر، وسخرت كل إمكاناتها للتأييد العظيم، ولم تكن وسائل التشوش، المجندة من طرف فرنسا وأعوانها، قادرة على التأثير أو إخفاء، هذه الأصوات المعبرة عن ضمير الإنسانية الحقة، وعن بداية انهلاء ليل الإستعمار الطويل.

طلّاع الأحرار

أثناء هذا الجو المفعم بروح التضحية والفداء، كان القائد مصطفى بن بولعيد، الموجه للأفواج من دشرة أولاد موسى، وخنفقة الحدادة، بتابع سير تنفيذ العمليات الأولى المبشرة بالثورة، أولاً بأول مع أعضاء القيادة، التي تتكون من: بشير شبحاني، عجول عاجل، مصطفى بوستة، مدور عزوي والمسعود بلعقون.

في تلك المهنات الطويلة، كانت أفواج المجاهدين، تشد الحُطى وتشق طريقها صوب أهدافها المحددة، وهنا يفقد المرء حساب الزمن حين تتحرك أقدام الثوار بإلحاح، في ظروف لم يعد فيها بُد من الإقدام، وتستوي تضاريس الأرض في عتمة ليل نوفمبر المظلم البارد، وكانت الخطوات حثيثة وسريعة، بين الجبال وعبر دوالي وتلال: تكوت، تيفلفال، غوفي، بانيان، مشونش، لحبال، الدروع وشتمة، إلى مكان التجمع (القراف)⁽¹⁾ بالعالية شرقي بسكرة.

وإن تذكر هؤلاء الشجعان الصناديد الرعيل الأول من الثورة الكبرى، يعيد إلى الذاكرة صور الرجال، الذين تمثل فيهم حالات بطولية فريدة، تشكل مشار كل تفسير واعتزاز وهم: الحسين برحابل، الحسين عبد السلام، عبد القادر عبد السلام، عبد الرحمن بن عبد السلام، محمد بن عبد السلام، محمد العيد بن عبد السلام، عبد الله عقوني، الطيب عقوني، لحضر بوغرة، علي بشينة، محمد عثمان، إبراهيم جيلوي، يحيى بن إبراهيم، إبراهيم زلي، الطاهر عماري، محمد لحضر عماري، مخلوف عبيد الله، ابن مسعود عبيد الله، محمد أمزيان خذري، علي صابقي، محمد الطاهر توري⁽²⁾

⁽¹⁾ لقد داهمنا الحسبي، أن نورد ولو بقدر يسير، حياة وخفاة الألفان لي، إذ سمعت في هرات وقتها دار «تقوى» وفي كل مرج حلت به، أثناء سياحي ورحلتي إلى أفغانستان، وآخرها عام 1977، قبل لي: أنه خداه الثورة الجزائرية، أسخت للحكومة، باسم الملك محمد طاهر شاه، تأييدها المطلق، وأن الشعب الأفغاني، ساند الثورة الشيوعية يا بطلك، ومثلك مرافق رسمية مشهورة، وحالات شعبة تروى في هذا المجال.

⁽²⁾ إنهم لي بلاد الأفغان دار الشؤون الثقافية العامة، ببلداه 1986، من 154 - 162.

⁽¹⁾ من هذا الموقع الاستراتيجي، انطلقت الأفواج صوب أهدافها بسكرة، وآلة عادت سلكها، من العمليات الأولى للثورة، والكلمة الأجنبية ومعناها، الموقع الذي يكثر فيه الخصم (صغار الخصم).

⁽²⁾ رزقي هؤلاء الشهادة، أثناء الثورة التحريرية.

الصالح بن رحمون، مسعود أفون، محمد الشريف عبد السلام^(١)، الطيب ملكي،
الصالح سلطاني (القطر) محمد بن عبد الباقي، السبتي وزاني، الصادق مبارك، أحمد
قادة، بونس ملكي، المسعود لويبي، عمار سلطاني، محمد عبيد الله، مصطفى
بومعروف عبد الله، الطيب كعباشي، عبد العزيز عبيد الله، محمد بن مدور، موسى
سلياني، وعمار بن عجلول أخذري.

لقد كان هؤلاء كما قال أحد القادة المفكرين وعلى قدر من الشهادة، من أجل الحياة
الحرّة الكريمة، فالشهادة تظل عنوان الحياة، ولا حياة حرّة بدون تضحيات، بمقدار
ما تهود النفس، بمقدار ما تمنح نفسها، حق الحياة الحرّة.

(١) محمد الشريف عبد السلام: أحد الأبطال الذين كان لهم شرف إطلاق الرصاص على العدو الفرنسي في ليلة
توفمبر 54 إنه المجاهد الفوّار الذي كالفح الاستعمار في الولاية الأولى والسابعة، طيلة سبع سنوات وصعد القلعة على
مناصب في الثورة، آخرها مسؤول ناحية، تكلم معي عن أحداث سياسية وعسكرية هامة.

موقع الخراف، حيث تجتمع المجاهدون قبل تنفيذ عملية الهجوم الأول



الهجوم الصاعق

اندفع هؤلاء الصناديد، بكل ثموخ وبطولة، صوب الهدف المحدد، المتمثل في العمود الفقري للجهاز الاستعماري، ثكنة (سان جيرمان)⁽¹⁾ بيسكرة، التي يصكر فيها لواء من رماة السنغال والحرش المتنقل، كما حمل الهجوم على محطة القطار ومركز الشرطة ومحطة توليد الكهرباء، واتصف في كل هذه الأهداف بالدقة.

لقد تقدم الأبطال، وهم يطلقون النار، ويسلأون فضاء المعركة بنداء، الله أكبر، فأصابوا وقتلوا العديد من الأعداء، وألقيت قنبلة حارقة على معمل النجارة، فاشتعلت فيه النيران، وعم الدخان الأرجاء، لينذر الاستعمار وعمالته، بأن شرارة الثورة، انبعثت وتعال، وأن صواعق ماحقة ستصب على المحتلين، ألى وُجدوا في الجزائر الشائرة.

واستمر إطلاق النار، ما يقرب من عشرين دقيقة، دون أدنى رد فعل أو مواجهة، نتيجة عامل المباغتة، وبعد انسحاب المجموعة، راح الرماة يطلقون النار في كل اتجاه، وبدون أي تمييز، وتعالّت أصوات الانفجارات وطلقات الرصاص الياشة الطائشة، وظهر نوع من شبه المقاومة الارتجالية من جانب المحتلين، وذلك بعد أن انسحب الأبطال مُخَلِّفين وراءهم الفزع والهلح في صفوف العدو وعمالته بالمدينة.

وأما الهدف الثاني، فكان مراكز الفرنسيين وعمالتهم يشوش، حيث خرج الأبطال بقيادة الحسين برحابل بعد أن ذكوا العدو في حصونه بيسكرة.

(1) سان جيرمان: رآته من قوات الغزو، والسهول العسكري في بيسكرة (1844 - 1849) تولى أمر حامية وأسر شيخ المجاهدين الحاج أحمد باي بسفح جبل أحمر عند بالأوراس عام 1848. قُتل في مواجهة كجانب سيدي عبد الحفيظ الخنقي بوادي يراز قرب سيدي عفة عام 1849. وثكنة (سان جيرمان) هي ثكنة القوات الفرنسية حرا (حاليا) للجزيد من القاصيل، انظر: محاضراتنا، الاحتلال الفرنسي للأوراس (1844 - 1849) تاريخ الأوراس مرجع سبقت الإشارة إليه، ص 223 - 233.



من أبطال الهجوم على ثكنة (سان جيرمان) في غرة نوفمبر 1954م. وهم من اليمين إلى اليسار: الصالح سلطاني (القط) محمد الشريف عبد السلام والصادق مبارك، التقطت الصورة في موقع (لغراف) الذي أقامت فيه فرنسا ثكنة عسكرية رهيبة.

وكان الهجوم الموفق، على مراكز وتجمعات قوات العدو المتواجدة في الفندق والمستشفى والمدرسة، حيث كان يتركز الحرس المتنقل بقيادته، وهوجمت دار «القايد» الصادق صنيع فرنسا، وغنم المجاهدون منها، قطعة سلاح، وذخيرة متنوعة.

ولم تعرف الخسائر، إلا أنَّ تحركات كثيفة ونجذات سريعة، تمت ليلتها، والوحيد الذي لقي مصرعه في هذه الليلة الليلية، بمشونش، هو الحارس، الصالح بن ذباح، الذي أصيب، أثناء محاولته الدفاع عن الفرنسيين المحتمين بالمدرسة. ومباشرة بعد تنفيذ المصلبتين، أعطيت الأوامر للتوار، بعدم الرجوع إلى منازلهم، لأنهم يعتبرون من الآن، جنود جيش التحرير، حتى تستقل الجزائر، أو ينالوا الشهادة في سبيل الله والوطن.

الفجر الساطع

لقد كان نوفمبر، شتوًا ورعبًا على فرنسا وأعوانها في الأوراس، ولملا، لما كان من (قايد) مشونش والمعلم مانيروت⁽¹⁾ وزوجته، إلا أن ولّوا هارين، وهم لا يلبثون على شيء.

ونظرا لكون هؤلاء، يمثلون الاستثمار في أبشع صورة في الجهة، فإنه هبات أن يفلتوا، فلقد أوقفتهم يد الثورة الضارية في ممر الموت «مضيق تيفانين»⁽²⁾، حيث اعترضهم، الفوج المكلف بعملية رصد التحركات على الطريق، الرابط بين آرس ومسكرة، بقيادة البطل محمد صبايحي، الذي تموقع في أقرب نقطة من الطريق، وأما بقية أفراد الفوج فهم: الصالح غسكيل، المبارك جفروري، بلقاسم أوفافا، أحمد غفالي، إبراهيم بومستة، أحمد بن أحمد غفالي، محمد جرموني، عمار برغوثي والآخرين.

لقد تموضعوا على حافتي الطريق، واختبأوا خلف الصخور والأشجار، بعد أن وضعوا حاجزًا من الحجارة في عرض ممر الحافلة، الناقلة للبريد الثابتة للهاتمي حليبي والوردي بومستة، والتي كان يقودها السائق الحاج إبراهيم حليبي.

صعد البطل المبارك جفروري إلى جوف الحافلة، وتكلم مع الركاب، وأبلغهم بأن الثورة اندلعت، وأن المجاهدين يحملوا المسؤولية، وسَحَلُوا الأمانة، وتعاملوا على أن يواصلوا الجهاد ضد الإستعمار وأعوانه، وواصل المجاهد ثلاثة بلاط، وأسمع الجميع بيان أول نوفمبر.

(1) كانت النظرة إلى المسلمين تعتبرهم مبشرين بالتغيير والإصلاح الفرنسي، والفرنسي «البروتستانت» يعتبرهم تفلقال.

(2) مضيق تيفانين: يبعد عن آرس (18) كلم، ومن مسكرة (32) كلم، ويصلح بمرافقهم.

التقطت الصورة من نفس الموضع الذي انطلقت منه الرصاصات الأولى للثورة في الأوراس، ويبدو النصب التذكاري بارزاً في الموقع الذي نُفذت فيه العملية في صبيحة الأول من نوفمبر 1954



إلا أن الطاغية «صنّوق» المعتز بإثمته نُفذ صبره، وألقه الكلام القارح له والأرلامه، فثار بعد سماعه صوت الحق، ونطق شراً، فأغلط الكلام للمجاهدين، وتوعدهم لنسب حاكم آريس⁽¹⁾، ونعتهم بقطاع الطرق، والخارجين عن القانون، والقوضيين، وحاول جاهداً المجاهد المبارك جفوري، تهدئته، وإرجاعه إلى جادة الصواب، إلى أنه نهى في غيّه وغطرسته، وبخفة، حاول أن يمد يده لمسدسه، إلا أن يد الثورة كانت أسرع وأصوب، حيث كان البطل محمد صبايجي يترصده، مُشدّقاً صوته، وراح حركاته المشبوهة من وراء صخرة، لا تبعد سوى أمتار عن الحاجز، وهذا طعنت مبدئية تدوي بنداء، الله أكبر، متبوعة بصليّة حادة من سلاحه، فأراده قتيلاً في جيبه، وتعرض المعلم لإصابة قاتلة، هو الآخر، بينما أصيبت زوجته بجراح خطيرة، وكانت الأوامر لا تطلقوا الرصاص، إلا على مصادر النار، تلك هي أوامر الثورة التي نُفذت^{١٩}

وفي كلمة التأبين، التي أقيمت على جثمان القتيلين، من قبل حاكم آريس، الذي سَكَنَ الخوف، توعد وبلهجة مأكرة المجاهدين بالإنقام، وذلك بفرض التحقيق من الملع والرعب الذي سكن أعوان الإستعمار منذ أن وصلت إلى طيلات آفانهم، أول الأخبار المبشرة (المنذرة) بانطلاق الثورة المسلحة، مما أقلق راحتهم، وألحق عيشهم، وجعل مستقبلهم محاط بعلامات استفهام كبيرة ملغمة، لا سيما بعد أن عرفوا من عقل العميل المذكورين، عزم المجاهدين وإصرارهم على السير قُلُتْماً، مهما كانت التضحيات من أجل تحرير الجزائر، أرضاً وشعباً.

(١) تذكر بعض الحكام الذين تراءوا على دائرة (جبل آريس) وهم: ربهان، بوسكاي، توفيق، علي، وغيرهم. وفي، الذي أقصي مباشرة بعد اندلاع الثورة.

البيان الأول

أفاق العالم صيحة اليوم الأول من نوفمبر 1954م على صوت حاولت فرنسا
الاستعمارية خنقه، غير أن أصداؤه كانت أقوى من كل محاولات التخطيم، لقد كان
ذلك إيذانا بانفلاق الثورة المسلحة، فترددت أصداؤه البيان، ورددت الأفاق صوت
المجاهدين الأحرار:

يا فرنسا لقد مضى وقت العتاب وطننا كما يطوى الكتاب
فاستعدي وخذي منا الجواب إن في لورتنا فصل الخطاب



النصب التذكاري للعملية الأولى في الثورة المسلحة .

بيان فاتح نوفمبر ١٩٥٤

أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية

أنتم الذين تصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصة - نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان^(١) هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة، التي دفعتنا إلى العمل بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقررات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، وورغبتنا أيضا، هو أن نجنبكم الإلتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاتها الإداريون، وبعض محترفي السياسة الإنتهازية.

لنن نحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية - بعد مراحل الكفاح - قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع - هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل، أما الأوضاع الخارجية، فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي نجد سندنا الدبلوماسي، وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعض مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، ولما يلاحظ في هذا الميدان فإننا منذ مدة طويلة كنا أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

(١) كانت فكرتي، أن أحب مقتطفات من البيان، لكن وجدت أنه متكامل الجوانب، ومن باب الفائدة العامة والأمانة العلمية، أن أوردته كما هو، خاصة وأنتي وجدت بأن معظم الذين كتبوا البيان منابر للأصل أصليا وليس، شكلا ومضمونا، وعليه لم أجد الإختلاص والتصويب.

إن كل واحد منها قد اندلع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب، فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء، ومحرومة من سند الرأي العالمي الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستمرار، بطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية^(١).

إن المرحلة خطيرة.

أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين، التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه، صراع أغلب الأشخاص، والتأثيرات لدفعها إلى الحركة الثورية الحقيقية، إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد، فإننا نوضح بأننا مستظنين عن الطرفين اللذين يتنازعان عن السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطات لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستمرار، الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية. ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية، تظهر تحت اسم: جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين، من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنظم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر، ولكي نلين بوضوح هدفنا، فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

١ - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية.

٢ - احترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز عرقي أو ديني.

(١) انظر: الطريق إلى نوفمبر، محاضرة الأستاذ محمد الطيب العلوي، جبهة التحرير وبيان أول نوفمبر، العدد الأول، ج/١، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ١٥٩ - ١٨١.



الأهداف الداخلية:

- ١ - التطهير السياسي، بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.
- ٢ - تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

- ١ - تدويل القضية الجزائرية.
- ٢ - تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.
- ٣ - في إطار الأمم المتحدة، تؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحررية⁽¹⁾.

انسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية فإننا سواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى نحقق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها، يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد، وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين وهذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا، ولكن النصر محققا، وفي الأخير ونحاشيا للتأويلات وللتعليل على رغباتنا الحقيقية في السلم، ونحذرها للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها:

- ١ - الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية، متجاهلة التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

(1) طالع: المسيرة، مسيرة الشعب عبر ملايين الشهداء، الفصل الخامس الثورة تحدد أهدافها، مطبوعات قسم الدار والوثائق 1979، ص 127 - 135.

٢ - فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري، على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

٣ - خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق جميع المعتقلين السياسيين، ورفع كل الإجراءات الخاصة، وإيقاف كل مطاردة، ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

١ - فإن المصالح الفرنسية، /ثقافية كانت أو اقتصادية، والمتحصل عليه بتزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

٢ - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر، يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين، بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

٣ - تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر، وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاليتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنظم إليها لإنقاذ بلادنا، والعمل على أن نسترجع له حريته، أن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك، أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواقفون من مشاعرنا المناهضة للإمبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفسنا - أغلى - ما نملك.

فاتح نوفمبر ١٩٥٤
الأمانة العامة

أعداء الجزائر

انفجرت الثورة، وأدخلت الرعب الشديد، والفرع الكبير، في قلوب الفرنسيين وأذئابهم، وفقدت حكومة باريس رؤسها، وصارت تحسب للثورة ألف ألف حساب، نتيجة لكبر حجم المفاجأة، التي لم تكن متوقعة.

لقد أصيبوا بصدمة عنيفة، لم يتحملوها وقَّعها، بل جنُّ جنونهم ولم يحاولوا أبداً، فهم الداعي لهذا الانفجار الهائل، ولم يفكروا إلا في استعمال القوة والضغط، وإرسال المزيد من قوات الشر والمكر والعدوان.

ومباشرة اتخذ الحاكم العام للجزائر (روجي ليونارد) تدابير عاجلة للقضاء على الثورة في مهدها، قبل أن تفرخ وتعم، ووُضع رئيس الجمهورية (روني ماين) تحت تصرف وزير الداخلية (فرانسوا ميتران) كل ما من شأنه القضاء على الثورة بأي وسيلة وثمن.

وأياً كانت الأمور، فإن (ميتران) يقرر في (27 - 30 نوفمبر 1954) بعد رحلة تفقد أثنائها منطقة الأوراس في مشوش وبسكرة: «إننا سنعمل كل ما في وسعنا، لنسحق الشعب الجزائري، وهو جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسي، إنه في وطنه مثلكم وبيتنا»⁽¹⁾.

وفي اليوم الذي أدلى فيه (ميتران) بالتصريحات السالفة، صدر قرار بحل الجيش حق الاستيلاء قسراً على حاجاته في أنحاء الجزائر كافة، ثم إرسال قوات من الحلف الأطلسي⁽²⁾ إلى الجزائر بأمر من الجنرال (جروثير) وأخذ سلاح الطيران، يلقي على

(1) La Dépêche N 16. 136, mardi novembre 1954.

(2) الحلف الأطلسي: منظمة عسكرية، أنشئت بمقتضى معاهدة تعرف باسم معاهدة الحلف الأطلسي، ووقع على هذا الميثاق في 1949: الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا، كندا، ألمانيا، فرنسا، إيطاليا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، البرتغال، بريطانيا، ثم انضمت إليه اليونان وتركيا وألمانيا الغربية. يترأسه الرئيس الفرنسي. لهذا الحلف، اعتبار الهجوم المسلح على أي منها هو هجوماً عليها جميعاً.

عقداً العدو

زَجَّ المستعمرون الفرنسيون، بعد انطلاق شرارة الثورة من الأوراس، بآلاف السكان في معسكرات الموت البطيء، التي أقاموها في العراء، خصيصا للتكيل والتعذيب، حيث يساق لها الأطفال والنساء⁽¹⁾ والشيوخ، ليواجهوا قسوة الجوع والأوبئة والأمراض الفتاكة.

إلا أن مجربات الأحداث لم تكن كما خطط لها جنرالات الظلم، وأرادها عقداء
العدوان، ومن ورائهم الغرب الشرير، الشره للدماء، المتحفز للاقتباس، المترص
للعدوان، بل وجدنا العمليات البطولية التي نفذها أبطالنا، أحدثت الارتباك والتخلخل
في قوات العدو، مما جعل سياسة وقادة فرنسا، يتابعون الوضع العسكري بكثير من
القلق والخوف.

وقد حدثت هزات عنيفة، عصفت بحكومة (منديس فرانس) في جانفي 1955 وقامت أزمة وزارية حادة، جاء بعدها (إدغار فور) بسياسة تعتبر أن الجزائر تؤلف وحدة سياسية مع فرنسا، وعُيِّن (جاك سوستيل) واليا عاما، وحدث في 15 جانفي أن كان في بسكرة، للوقوف على تطورات الأحداث، التي أخذت منعطفًا خطيرا ليهدد مصالح فرنسا، ويقضي على عملائها، فأصدر أوامره الصارمة، بالقضاء على الثورة، بأي ثمن، إلا أن انتصارات جيش التحرير، تضاعفت، وانهزيمات جيش الاستعمار، توالى وتعاقت.

١) في قرية تيفلفال التي تقع على بعد (37) كلم. من مشوش طريق آرس أقامت فرنسا سجن وعيب خصص للنساء في الأوراس، زوجات وأمهات وبنات وأخوات المجاهدين، وكانت لنا وقفة على دهاليزه ودرجاته التي تبعث في النفوس تلك القشعريرة الباردة، وتذكر نوع الرعب الذي كان يسلط على حرارتها، وقد التقيت بمواطن ولد في السجن نذكره: عبد الحميد عماري (المحاسبي) نسبة إلى الحبس، أي السجن، ولد له في يوم ١٤ مارس 1960، ونذكر بعض النساء اللواتي قضين مدة في السجن حيث تعرضن لعذاب، لا سبيل إلى وصفه هنا. ومن: علية خلري، فطيمة صايبي، الشبيخة هدية، فطيمة زغنودي، أم السعد بن رحون، فاطمة برسوي، منصوره خلري، جمعة ميموي، فاطمة بن زوال، جمعة سليمان، زوقة يحيى، فاطمة سليمان، عائشة ملاح، فطيمة بلعاش، المطرة مخلف وزوجة وأبناء المجاهد علي بلحاج بن جديشي، الذين قتلوا عن آخرهم في السجن.

M. François MITTERRAND
à M'Chounèche et Biskra



Dans le décor majestueux des djebels, devant l'infirmerie où les guérisseurs résistèrent à l'assaut ennemi, le ministre de l'Intérieur prononce son allocution.

❖ SUITE DE LA PAGE 1

de M. Pierre Dupuch, préfet de Constantine, M. le préfet Jean Baccou, directeur général de la Sécurité générale ; des généraux Charles Hollmann et Morin ainsi que de nombreux élus, valant honneurs ; standard du goum et deux chariots sur le front de défilé.

A 14' Chrysler

[illegible]

The first of the three parts of the
 first two volumes is devoted to the
 history of the American people from
 the first settlement of the continent
 to the present time. The second
 part of the first volume is devoted
 to the history of the American people
 from the first settlement of the
 continent to the present time. The
 second part of the first volume is
 devoted to the history of the American
 people from the first settlement of
 the continent to the present time.

[illegible]

du douter le ministre prisme que l'autorité. Dans sa mission pour le rétablissement de l'ordre, nous ser-
ter les mesures collectives.

« Mais il s'agit, dit-il, que cette population compense qu'elle doit nous aider. Nous sommes tout en qui nous sommes. A un état de guerre. Cependant, la justice frappait sans pitié les occupants, car la justice est une justice. »

Die Forderung, dass die Bevölkerung, welche sich auf dem Gebiet der Bundesrepublik befindet, die Bundesrepublik als ihre Heimat anzuerkennen und sich ihr zu verpflichten, ist eine Forderung, die sich aus der Tatsache ergibt, dass die Bundesrepublik ein Staat ist, der die Verantwortung für die Sicherheit und den Frieden seiner Bürger trägt.

[illegible]

1. Li ho conosciuti dopo quindici anni
 durante un'uscita a teatro. Avevano
 una buona idea del mio lavoro e
 mi hanno invitato a fare parte
 del loro gruppo. Ho accettato
 con entusiasmo. Ho lavorato
 con loro per un anno e mezzo.
 Ho imparato molto da loro.
 Ho conosciuto persone che
 mi hanno aiutato a crescere
 come professionista. Ho
 imparato a lavorare in un
 ambiente di lavoro che
 mi ha permesso di esprimere
 al meglio le mie capacità.
 Ho imparato a lavorare in un
 ambiente di lavoro che
 mi ha permesso di esprimere
 al meglio le mie capacità.
 Ho imparato a lavorare in un
 ambiente di lavoro che
 mi ha permesso di esprimere
 al meglio le mie capacità.

Départ de Biskra

А. Мухомов, 1904 г. (с. 100).
Мушкетеры на фоне крепостных стен.
Мушкетеры в сражении. А. М.
Мушкетеры в сражении. А. М.

«Au lieu de nous en tenir au point de vue des intérêts de la nation, les socialistes se sont mis à l'œuvre pour la destruction de la nation elle-même, en vue de la création d'un monde de bien-être universel».

«Au lieu d'appuyer les conditions des travailleurs, les socialistes ont cherché à les détruire».

Les obsèques
de Guy MONNEROT
à Limoges

Messages.—Any messages to be sent by the committee should be sent to the secretary of the committee, who will forward them to the proper authorities.

96

deva

Un
de
et d

1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 278: 1019-1024.

الجزيرة لادياش 30 نوفمبر 1954

LE BE
ent n
de pre

عاد الوالي العام في (20 ماي 1955) إلى الأوراس برفقة ممثلين من وزارة الدفاع والداخلية للإشراف، وتولي تسيير العمليات العسكرية في المنطقة، بقيادة الجنرال (شاريس) القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر، والجنرال (بارلانج) القائد العسكري والمديني في الأوراس، ومقره باتنة⁽¹⁾، والكولونيل (دوكورنو).

وعليه، فقد عززت فرنسا قواتها القارة في الأوراس والمتواجدة في بوابة الصحراء، بـسكرة، بفرقتين من الفرق التي يُعتمد عليها في البطش والتدمير، وهي فرقة اللفييف الأجنبي، وفرقة الطابور المغربي⁽²⁾ التي استقرت في مشونش، وقامت القوات الفرنسية بأول تجربة عسكرية في الحرب النفسية، للتأثير على معنويات السكان، وذلك بإنشاء مكتب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S) وأنيطت المهمة المدنية للجنرال (بارلانج)، وقد تحوّل رئيس الجمهورية، جميع الصلاحيات، التي تمكنه من إخماد أوار الثورة، بكل الوسائل وشئ الأساليب. ووضعت تحت تصرفه، قوات متكونة من خليط متعدد الوظائف والمهام والمسؤوليات، ففيها: العسكري، الشرطي، الدركي، الحرس، الوحدات الإقليمية للمعمرين⁽³⁾، الحركي، العملاء، جهاز ضباط الشؤون الأهلية، أعوان مصالح الجوسسة، المخابرات، اليد الحمراء⁽⁴⁾، فرق القمع والإبادة، ومجموعات حرب الأعصاب النفسية في المحتشدات والمعتقلات والسجون⁽⁵⁾.

(1) مقر المنظمة الوطنية للمجاهدين حاليا.

(2) لرى أن أوضح أن فرنسا أحضرت عشرة طوابير من الجيش المغربي، وكل طابور يحترق قبلها، لزوجهم في فتح الشعب والقضاء على الثورة، ووزعتهم على المناطق: آرس، باتنة، غنشلة، وسكرة، وفي صيف 1956، رفضوا جامعا المشاركة في الحرب، وأمر الجنرال (بارلانج) سحب السلاح منهم، فرفضوا تسليم أسلحتهم وطلبوا العودة إلى المغرب، وضلوا ركبوا القطارا ولا وصلوا إلى سيدي بلعباس، حاصرتهم قوات اللفييف الأجنبي لتجريدتهم من أسلحتهم، ووقعت بين الطرفين مشادات عنيفة، ولم يسلّموا أسلحتهم، وعادوا إلى المغرب، وقد التحق بعضهم بحزب جيش التحرير بتاجنة غنشلة وآرس.

(3) بعد اندلاع الثورة أصبحت فتح المصيرين مراكز للتعذيب، لأن ساكنيها كانوا من خلاة المجرمين، الذين اتفقهم بلدانهم وقد أشرفوا على عمليات التعذيب والتكيد والتفيل.

(4) اليد الحمراء: قوة إرهابية غير مراقبة من البوليس والجيش الفرنسي، ولتجهد كل الدهم المعنوي والمادي من قبل السلطة الفرنسية.

(5) طابع الفرق بين المحتشد والطفل والسجن في موضوع المعتقلات في الجزائر، أثناء الثورة التحريرية وبعد

إبادة الشؤون الأهلية (الأساس) في الحرب النفسية داخل المعتقلات، الأستاذ محمد الطاهر عزوي، مجلة التراث، العدد 3، دار النشر للطباعة والنشر، باتنة، 1988، ص 73 - 135.

لقد أدركت القيادة الفرنسية، حماس الشعب واحتضانه للثورة الفتية، وعليه فقد قام جنرالاتها بمحملات واسعة (لسحق الثورة) واشتركت في هذه العمليات، عشرات الآلاف من قواتها الشرسة، تعزّهم الطائرات والمدفعية، واعتقلت مئات الأبرياء من المدنيين، وزجت بهم في المعتقلات الرهيبة، ليظهر بذلك ضباط فرنسا شجاعتهم التي فقدوها في الميدان، ولتنطلق كل الفرق المسلحة وتعاون في إطلاق النار على العزل بدون تمييز، أو تحقيق ليسقط الشهداء والجرحى⁽¹⁾ والأطفال⁽²⁾ والشيوخ⁽³⁾، ثم تبدأ عمليات التفتيش والاعتقالات، من قبل أعوان وجهاز المخابرات المدنية والعسكرية ومكاتب الشؤون الأهلية، التي لا تتورّع في استخدام أقصى أنماط الأساليب النفسية والجسدية، التي تجعل السجين في أحيان كثيرة، مفصولا عن إنسانيته، متدحما في فصيلة لا تمت بصلة بكل ما يجعله بشرا من جراء ما يصب على قسنته من أقوال احتقار، وبذاءة وسفالة، وما يتعرض له من أهوال وعقوبات حتماء.

(1) جرحى المجاهدين، مصيرهم الإعدام بدون إمهال، أما المدنيين، فتضاعف أصابتهم نتيجة التعذيب، والكثير يلقون حتفهم.

(2) إليك أخي القاريء، هذه الصورة عن المحرقة المروعة التي حدثت في ناحية مشونش (لولاش) حيث قام العدو بمساعدة عملاء مضمورين بملاحقة عائلة المجاهد البطل رمضان حسوي، وأثناء العصابة، ألقي القبض على كثير من الأقارب، وهنا قام السفاحون بإضرام النار في بيت كبير، وبدأت العصابة بإلقاء الرجال في النار لتأججهم وهم أحياء، أمام مرأى من أطفالهم ونسائهم، وتذكر بعض هؤلاء الشهداء: الصالح حدادنة، الصالح داروي الشريف بوملان، الصالح سيفوتة، محمد براهيم، بلقاسم بقراري، محمد الطاهر ججرة، ومحمد الصالح شادوي. الراويان المشاهدان: العربي حسوي، السعدي ججرة.

(3) حدث أيضا، أن قدم شيخا من الجبل إلى ابنه، وعندما كان بالقرب، خرج من البيت لأمره الصالح، أثناءها، كان العلم الفرنسي يتزل، ويعني الوقوف الإجماعي للجميع، إلا أن الشيخ، استمر في تأدية الصلاة، كما كان من حارس التكنة، إلا أن أطلق عليه النار من مدفع الرشاش، لأنه لم يتحرك أو يستعد.

التعليمات السرية

منذ تأسيس المكتب الثاني والخامس، ومكاتب الشؤون الأهلية (S.A.S) ركزت أجهزة هذه المكاتب، نشاطاتها، للتأثير على معنويات الساجين في المعتقلات والمحتشدات، وكانت عمليات غسيل الدماغ من الأعمال التي يباشرها الجلادون أعماهم، والتي يمارس فيها تجار الموت، آخر ما توصل إليه عملاء الإجرام من درجات التفتن في أنواع التعذيب والإرهاب.

ويحدث أن تجري عملية غسيل الدماغ بشكل مكثف، ولمدة قد تقصر أو تطول وقد أدت عمليات التعذيب، المرافقة لعمليات غسيل الأدمغة، إلى انشراح البراءة من البعض، كما أدت إلى إصابة الكثيرين بالأمراض والكسور المضاعفة، نتيجة وسائل التعذيب الرهيبة، التي لا يمكن وصفها، لأنه لا يمكن أن تصدر من آدمي له عقل يفكر، وقلب تقطنه الرحمة!

وهناك تعليمات سرية في هذه المكاتب وهامة جدا، يُرود بها الفرنسيون في مكاتب التعذيب النفسي والجسمي، وهي أوامر صارمة، والخروج عنها، معناه الوقوع بين محالب المحاكم العسكرية، التي لا ترحم إلا بالرماس، وهذه التعليمات يجب أن تنفذ على جميع الجزائريين بدون استثناء، لأنه يجب، أن يدركوا، بأنهم أنقص عقلا، وأقل شأنًا من الفرنسي الأوروبي، وأن يعلموا بأن الفرنسي الذي يتحدر أصله من شمال إفريقيا (الجزائر) يتصف بالصفات التالية (في نظر الفرنسي):

1 - من الناحية العاطفية:

- اندفاعي - متطرف في كل شيء، ردود فعله حادة ومفاجئة، يمتلك متناقضات كبيرة في الشخصية (شجاعة، غوصي، حيوية، غمول).



- عفوي ولا شعوري - أي أن أي عاطفة أو رغبة جديدة تحتل نفسه، وتقضي على كل شيء ما عداها.

- جماعي - تحتل الصفة الجماعية في عمله وتصرفاته، أهمية أكبر من الصفة الفردية.

2 - لا عقلاني - قادر على التفكير، ولكنه لا يعطيه أية قيمة، لا يبحث عن معرفة سبب الشيء، وماهيته، ولا يفسر مثلنا العلاقات السببية، ومن ثم جاء تواكله على الأقدار، وهو يدخل دائما العناصر الغيبية في نظراته إلى تكوين الكون ومسيره.

- سريع التصديق - لا يبحث عن تفسير الأشياء، وهو ينتظر أن تأتيه الحقيقة من الخارج كبنها كانت (دينية أو سياسية) وهو يقبلها أو يرفضها بالجملة، ودون مناقشة (فمثلا ما يتناقله العرب من شائعات رائجة، حيث يصدقون كل شيء بدون نقد).

3 - معلومات نسبية عن الوسط البشري: يجب الإلحاح على الاتجاه الطبيعي لدى الفرنسي باعتبار العقلية المسلمة في درجة أدنى من عقليتنا، وهذا ناتج عن معرفتنا السطحية للفرنسيين المسلمين، التي تؤدي إلى أخطاء فادحة في تقدير الأمور، ويجب كذلك التأكيد على خطورة هذا الخطأ الفادح، فالمسلمون الفرنسيون ليسوا بدائيين، لأن لديهم ديانتهم ومبادئهم الأخلاقية، وحضارتهم المختلفة من حضارتنا، ويجب إذن، بذل جهد كبير لفهمهم.

وعن طريق الأسئلة الخاصة، يجب أن نذكر الجنود الجدد بالخصائص الرئيسية لعقلية الفرنسيين المسلمين، وبالنسبة لكل صفة خاصة، يجب أن نستخلص النتائج الناجمة عنها.

الصفات الرئيسية:

- إنه يجب العدل، ويعتبر دائما أنه مظلوم، وإذن: يجب العدل معه، وتحطيم كل شعور يصنفه بأنه فرنسي من الدرجة الثانية، ويجب تفادي أي تمييز يمكن أن يشعره بأنه ضحية لاعتبارات عنصرية.

- حبه للربح - إذن، يجب التصرف معه، بحيث لا يستطيع أن يقدم أية طلبات.

- إحساسه بالكرامة والمهابة - إذن يجب السلوك معه بما يناسب الكرامة. وهو فخور وأحيانا متعال، إذن، إجادة تقديره وشكره، دون إظهار روح الدعاية المشبعة بالتفوق ويجب عدم التعرض لعاداته الخاصة.

- تشككه - لا يحتمل السخرية ويعتبرها شتيمة، إذن، يجب تفادي المزح، واستعمال الكلمات البسيطة التي يفهمها (فإن كلمة غير مفهومة، يمكن أن تخرج عواطفه واعترازه بشخصيته).

- غريزته الدينية - إذن، يجب احترام عواطفه الدينية، إيمانه بالقوى الغيبية، إذن، لا تبحث عن فهم تصرفاته على أساس عقلاني بحت.

ذاكرته خارقة للعادة، وهي تقلل من قدرته على التفكير، وتحدد أفق خياله، إذن، يجب تفادي ما يمكن أن يعده مساسا بشخصيته، وتغذي حقه.

- شعوره بقوة السلطة - إذن، يجب إظهار السلطة الحقيقية القائمة على العدالة، ويجب تفادي التصرفات التي تدل على الألفة النامة⁽¹⁾.

إن الفقرات السابقة، مقتبسة من نصوص التكوين المدني والمعنوي للجيش، المستعمل في تدريب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S)، وقد نشرت من طرف مكاتب الدفاع الوطني، المكتب الخامس.

(1) نقلا عن مجلة المقاتل، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني، العدد 36، 6 جاني 1959، ص 8.

المهام الصعبة

كان على قادة الثورة، مواجهة هذا الموقف الصعب، المترتب عن دفع فرنسا بكل ثقلها السياسي والعسكري، لمواجهة ومحاربة جبهة وجيش التحرير الوطني، ومتابعة المجاهدين في الجبال والصحراء، وملاحقتهم حيث الثورة.

في أواخر شهر ماي 1955 تم اجتماع قادة الأوراس بالجبل الأزرق في المكان المسمى «تاغروفت» في الوقت الذي كانت فيه حملة شرسة يقودها الجنرال (جبل) وهي داخلة ضمن مخطط المنظار (Jumelle) الذي وُفِّقَ لعمليات التمشيط من جبال أولاد نايل إلى جبال بني فرح بالأوراس حيث زُجَّ بقوة تقدر بـ (5000) عسكري، يقودها عدد من العقلاء وضباط من مختلف المراتب، مدججين بأحدث الأسلحة الفتاكة، ومعززين بالمصفحات والدبابات والطائرات المختلفة الأنواع.

على الرغم من هذه السموم التي تنفثها فرنسا، من آونة لأخرى، لتقوي بها عزيمة مقاتليها، الذين لم يعودوا يمتلكون من صفات الإنسانية سوى جلودهم، فإن ذلك لم يُجِدْ في قهر أبطال الثورة، وفي ثني عزائمهم الفولاذية، وإرادتهم التي لا تلين، بدليل أن سجل انتصاراتهم المتوالية، كانت تزداد أوراقه بمرور الأيام، ومع اشتداد المعارك لتسجيل البطولات الباهرة على قوات العدو وحلفائه.

اتخذ اجتماع أبطال أوراس النامشة، الذين دوّنوا جنرالات فرنسا، وكلهم عزم وإصرار على مطاردة ومفارقة المعتدين، وتذكيرهم بكل فخر واعتزاز، وهم: سي الحواس، عباس لغرور، الطاهر غمراس (النوشي)، الحاج لخضر، عمر بن بولعيد، المسعود بن عيسى، مدور عزوي، علي بلحاج، المسعود بلحقون، أحمد قادة، الحسين

الاجتماع على أمة الاستعداد لخوض معارك الشرف والكرامة

برحابل، محمد الشريف بن عكشة، عمار بلقون، محمد بن المسعود بلقاسمي، الحسين عبد السلام، الصادق جفروزي، أحمد حابة، أحمد نواورة ومحمد بن بولميد⁽¹⁾.



المجاهد البطل الشهيد
أحمد نواورة
(1920 - 1959)

(1) في هذه القائمة كان القائد مصطفى بن بولميد يراجع حكم الإعدام، في سجن الكدية بقسنطينة.

وفي هذا الاجتماع، تقرر أن يتولى سي الحواس قيادة المنطقة الثالثة⁽¹⁾ من الولاية الأولى، وتقرر أن يتولى عباس لغرور والحسين برحابل، قيادة ناحية خنشلة، ويؤلف محمد ابن المسعود بلقاسمي، مهامها بمشونش، وتقرر انتقال عمار بلقون وأحمد نواورة من ناحية خنشلة إلى ناحية آرس.

(1) المنطقة الثالثة من الولاية الأولى (أوراس - النمامشة) تتكون من التوازي التالية وهي:
- الناحية الأولى: مشونش، تضم أربع قساعات، تمتد من سيدي عقبة جنوبا، إلى القنطرة شمالا، والإسكندرية
الجهة الشرقية من مدينة بسكرة.
- الناحية الثانية: بسكرة، وتضم أربع قساعات، تبدأ من الشارع الرئيسي (ساليات) الأمير عبد القادر باعظم
سعدان) وشرق المدينة إلى مدينة الفشير جنوبا، وإلى مدينة سيدي خالد غربا، ومدينة تلمسان شمالا.
- الناحية الثالثة: بوسعادة، وتضم أربع قساعات كذلك.

دورية الجبل

بعد أيام من اجتماع ماي التاريخي، انطلقت دورية من الجبل الأزرق، صوب جبل بني فرح، بطلب من القائد سي الحواس، الذي كان يتركز بجيشه بين قرني (مولية) و(عين زعطوط)، وكانت مجموعة الدورية، تتكون من المجاهدين: محمد المسعود بلقاسمي، الحسين عبد السلام، الصادق جفروري، أحمد حابة ومحمد بن بولعيد.

وكانت المهمة شاقة، إذ أن القوات الفرنسية، ظلت تحاصر الجهة بجيش عرمرم، في نطاق عملية تمهيد واسعة، تستهدف من ورائها القضاء على المجاهدين الذين توجهوا إلى جنوب وغرب ولاية الأوراس.

وكان مجاهدو الناحية في انتظار، الدورية التي ستحمل معها الكثير من المهام والأوامر، وكانوا على درجة عالية من القلق، حول مصيرها، خاصة، وأن طائرات المراقبة، قد ضاعفت من طلعاتها الاستكشافية في تلك الفترة أكثر من ذي قبل، إلا أن القائد سي الحواس، قد طمأن الجميع، بأنه خطط لكل ما يتعلق بدورية الجبل.

في ليلة مشهودة حالكة السواد، يقترب الأبطال من حارس الثغر⁽¹⁾ أو حارس الليل ويتأكد منهم، أنهم المرتقبون، بعد تبادل كلمتي السر⁽²⁾.

(1) الثغر: المكان الذي يتخاف منه مجرم الممنوع.

(2) كلمة السر: استعملت في الثورة بأشكال:

الأول - الإشارة القولية: وهو كلمة سرية، ينفق عليها مسبقاً، يحصل بها التفاهم أثناء اللقاءات الليلية والمخفية.

الثاني - الإشارة اللمسية: عبارة عن قماش أو لباس ينفق على جسمه أو لونه مسبقاً، وتكون له دلالة بين المسلمين والأفراد جهل التحريم الوطني.

قرية مولية (حالياً)



وبذلك أصبحت الجماعة، تحت حماية جيش سي الحواس، الذي تسلم الأوامر من قادة أوراس - النمامشة، وأُنيطت له مهام سياسية وعسكرية، وكان الحدث الكبير، أن ظهر الرائد أحمد بن عبد الرزاق حمودة سي الحواس، لأول مرة بلباسه العسكري، متمنطقاً مسدسه الشهير، الذي لا يخطيء أعداء الثورة، وقد كانت استمداداته تزدهل للقيادة العسكرية، ولم يلبث أن ألقى في الجموع المحتشدة خطاباً معبراً ومؤثراً، نورد وتنصرف بعض ما ورد فيه على رواية بعض المجاهدين (... إن واجبنا بفرض علينا أن نبني أوفياء، جديرين بالتضحيات التي رخصتم بها، من أجل استقلال الجزائر، إننا في كل عمل قمنا به في حياتنا النضالية، كنا نهدف دائماً إلى تحقيق مصلحة الشعب الجزائري، أيها المكافحون في جيش التحرير الوطني، بالمناسبة، نجدد لكم عهدنا، بأن نواصل السير في الطريق الذي رسمه أبطالنا، الذين أستشهدوا بشرف ليحيا بعدهم الوطن).

زود سي الحواس، دورية الجبل الأزرق في نهاية اللقاء، بعناد ومؤن و(250) مائتين وخمسين بذلة عسكرية، كانت بحوزته، وكلف دورية من مجاهدي بني فرح الأشاوس، لرفقة أبطال الجبل، وحمل وحراسة الأمانة الثقيلة، وإيصالها سالمة.

في تلك الروايات، وجبال بني فرح القاهرة للأعداء، كانت صولات مشهودة للمجاهدين، الذين كان لهم شرف الجهاد والتحدي في هذه البقاع، التي شهدت معارك طاحنة منها معركة (أورش مضاص) بعين تغاسرة، التي هُزمت فيها القوات الفرنسية شر هزيمة، ولا تزال أحداثها تروى بين الشيب والشباب، لأنها كانت بحق نصراً مقدراً لجيش التحرير، وهزيمة نكراء للجيش الشر والعدوان، وقد أستشهد فيها (72) إثنان وسبعون شهيداً، نذكر منهم الشهداء والأبطال اللاحقة أسماؤهم: لخضر بن الجبل، مشلق بلقاسم، بشير منفوخ، عبد القادر السبع، مختار أوراغ، الصالح بن تراوي، الصالح نزار، علي زرقان، السعيد بخوش، موسى ميزاب، سي الحسين بن عبد الباقي، الصالح كرميش، محمد قدوح، محمد بن بولعيد، أحمد خرشوش، لخضر



القائد سي الحواس
متمنطقاً مسدسه، الذي لا يخطيء الأعداء.

وزاقي، علي بن واخير، علي ملال، محمد صغير، الوفاص جباب الله، الحاج عمر العايب، السيد عيسوي، محمد قلوب، عبد الرحمن أوراغ، شقيق شهيدتين مستطنا أثناء المعركة، وهما: زكية و زريدة أوراغ، عمار خلوي، أحمد بوجمان، محمد بورك، عمار معلوم، بشير لناعيق، مختار قسية، البشير بن حبرو، الطيب عزرة، دحمان بوردابن، بلقاسم معطوف، الشريف خنة، السيد قاسم، بلقاسم شطوح، محمد بن واخير وعلي مزبان وغيرهم من الأبطال.

لقد قاوم هؤلاء الصناديد قوات العدو، التي كانت كالجراد المنتشر في زحفها، تتقدم بخطوات جنونية لا ترد، ويأبد متشابكة في صفوف زاحفة، ويرددون أصوات منكرة متفردة، وأناشيد تدل على التهور والغطرسة، ولا يطلقون النار.

وقد قال عنهم أحد المجاهدين، لما أبصرهم على تلك الهيئة، واصفا حالهم، قال: «تخالهم وكأنهم ليسوا بشيء، بل آلات تتحرك، تطلق عليهم النار، وكأننا نرشهم بالماء القاتر، يسقط أحدهم، فيظهر غيره، إذن، ما الفائدة من قتل ثلاثين أو تسعة وتسعون، ويلق القبض على المجاهد حيا؟»

إن قادتهم المروريين، أوعزوا إليهم، أن الثوار في جبال الأوراس، انتهى حالهم، ولم يبق منهم إلا أنفارا فرادي، فقدوا كل قوة من شدة الحصار والخوف، وهم في حكم الموتى، لا يفقدون على الحركة، بل حتى على رفع أيديهم للاستسلام، من كثرة الأمراض وقلة التموين، وأنهم يتظرون الضربة الأخيرة.

وما إن حل ربيع 1955، حتى كانت قبضة العدو تشد أكثر فأكثر، ساعتهما أدرك المجاهدون، أنه من الصعب جدا التصدي للأمواج المتناحرة، والتخلص من الحملات السريعة، التي تتواصل لشهور ليلًا ونهارًا في كل بقعة يمكن وصولها في جبال الأوراس.

لقد وجهت فرنسا منذ اندلاع الثورة، قوات هائلة للمنطقة، ثم راحت تعزز تواجداتها كل يوم، فقامت العجلات والحشودات ومكاتب مصالح الجوسسة، وتوالت



اضرب اضراب فصائل على الشعب الجزائري الأبي

الرامي المجاهد الطل يوصف بورشاق

التجديدات والتعزيزات، ولكن دون جدوى، فلجأت إلى التعذيب في البدء، بفرض جمع المعلومات، «الاعترافات» بأي ثمن أو أسلوب، ثم عم وأصبح التعذيب فنا يتبع، ونظاما عاما يسود.

إن التعذيب لم يكن من عمل صغار المسؤولين المنفذين، ومظاهره لم تعد من قبيل التعسف والتجاوزات، خلال عمليات الاستنطاق، بل أصبح مؤسسة قائمة بذاتها، وهذا بشهادة الجميع، ورسالة يومية تمارس على نطاق واسع، لبث الرعب وزرع الهلع بين السكان.

إن حرب التجويع القسري والحرق العمدي، وعمليات الإغتصاب، والتشريد الجماعي وقبلة المداشر والقرى، وهتك الزرع والضرع، وغيرها من الممارسات اللا إنسانية التي تفتن فيها جلادو العدو، لا يمكن أن يأتي عليها قلم، ولا أن يحدها بيان، ولا يفسها كتاب أو مجلد، لأن عددها لا يحصى، ودائرتها لا تعرف محالا مطلقا، وستبقى وصمة عار في جبين فرنسا، ونيشان خزي في صدرها، حتى وإن ادعت اسبقيتها التاريخية في رفع شعار (الحرية، الأخوة، المساواة) الذي ظل جامدا أثناء احتلالها للجزائر.

وإن ما تقرأه من الصفحات القادمة، من سطور دامية في وثيقة التعذيب بشهادة العسكري الفرنسي (جاك ييشو) والتي ترجمها الأستاذ عبد الكريم رمضان، ستظل دليلا دامغا، وبرهانا قاطعا على وحشية فرنسا في الجزائر.

الأوراس الصامد

ازدادت الثورة التهابا، وتركزت هجمات المجاهدين على القوات الفرنسية التي فقدت صوابها في الأوراس، وفشلت حملات القمع والإبادة، التي أشرف عليها الحاكم العام للجزائر (روجي ليونارد) الذي أعلن في لقائه بباتنة⁽¹⁾ مع السلطة المحلية، بأن: (تصفية المنطقة والقضاء النهائي على التمرد بتطهير شهورا عديدة، بسبب ما نجده في المحيط من صعوبات).

وصرح: (أن عدد الثائرين في الأوراس، ألف رجل، وأن الإمدادات اللازمة لإقرار الأمن والسكينة، نحتاج إلى أربعين ألف عسكري).

وتوالت انتصارات الثورة، وعجزت كل أسباب العدوان في التأثير عليها، فهذا وزير الداخلية، فرانسوا ميتران، يعلن: (أن التدابير العسكرية وحدها لا تكفي، فعلينا أن نستثمر أكثر من أربعين مليار فرنك، حتى يعلم كل جزائري أنه محل العناية الفرنسية).

وقال في تصريح آخر: (...والحكومة لا تستطيع ولا تريد أن تسمح، بأن تتجاوز المطالب التي يعرضها سكان الجزائر، بعض الحدود، مثل: وحدة الأرض والسيادة الوطنية).

إلا أن هجمات جيش التحرير، لم تترك هؤلاء البغاة الغلاة، يسترجعون أنفاسهم حتى باشرهم الأبطال بهجمات عنيفة صاعقة، أسقطت كل أقتعتهم وخداعهم، فسارعوا بطلب إمدادات وتجهيزات عسكرية إضافية للقضاء على الثورة، فقامت قوات تعدّ بعشرات الآلاف ضمن عمليات (فيوليت) و(فيرونيك)^(*) اشتركت فيها مئات

(1) وقع ذلك لاجتماع يوم 21 جانفي 1955 بسفر نيابة العامة في باتنة.

(*) في 23 جانفي 1955 شرع في تنفيذ المصليين الرهيبيين و حددت أهدافها بتدمير الأوراس من أجل القضاء النهائي على (بقايا) الثورة، وقد أشرف عليها، ضباط لهم خبرة واسعة في ممارسة حرب القصابات، ومحور معارك الجبال، أمثال الجنرالين: جيل وبارلانج، والمقيدون: ديكونو وبيجار.



المدرعات والدبابات والطائرات، ذات القنبلة الرهيبة، ومطائرات الإنزال الفسحة، مستهدفة سكان القرى والمداشر وتدميرها، بها فيها، من بشر، وحيوانات، ومزارع، وكل شيء طالته الأيادي القذرة.

في شهر جانفي 1955 عُيِّن السفاح (روبرت لاكوس) وزيرا مقيما في الجزائر، وفي 15 فيفري تسقط حكومة (روجي ليونارد) ويعين خلفا له، محرم الحروب (جاك سوستيل).

بمجيء (سوستيل) شهدت الجزائر فصولا من الإرهاب والفضائح الاستعمارية، إذ ساندته المعمرين، الذين زودهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم في حالة مهاجمة الثائرين عليهم، وشرع في تنفيذ ما من أجله عُيِّن، فبعد أربعة أيام من وصوله، قام بجولات ميدانية للمناطق التي تستمر فيها الثورة، وصرح عند قدومه إلى الأوراس بقوله: (إن هذه المنطقة تشهد تزايدا ملحوظا في عدد السكان، والأرض لا تكفي، لذا ترى في هذه المنطقة حركة إرهابية، ويجب كسب الثقة بتطبيق إجراءات اصلاحية⁽¹⁾ : إدارية واقتصادية واجتماعية).

لاقت الثورة صعوبات جمة، بعد تحقيق أهدافها الأولى، وأصبحت المؤامرات والدسائس، تحاك وتنفذ جهارا نهارا على الثورة وأبطالها، ومما زاد الحالة وطنا إلقاء القبض على قائد المنطقة^(*) الأولى مصطفى بن بولعيد في يوم 12 فيفري 1955 واستشهاد قائد المنطقة الثانية، مراد ديدوش، في يوم 18 من نفس الشهر، الذي خلفه القائد الشهم يوسف زيفود^(**).

(1) الإصلاحات: ارتفعت أصوات بعض السياسيين في الحكومة الفرنسية، تدعو إلى القيام ببعض الإصلاحات بعد إخماد الثورة في زعمهم.

طالع بالتفصيل القانون الإداري والسلطة الخاصة، الأستاذ مصطفى بوطمين مجلة أول نوفمبر العدد 90 - 91 مرجع سابق ص 30 - 33.

(*) المنطقة: كان المصطلح المتفق عليه في بداية الثورة، وأصبح بعد مؤتمر الصومام 1956 يعرف بالولاية.

(**) كان القائد يوسف زيفود، مرابطا في جبال الأوراس قبل اندلاع الثورة مع الأبطال: القوي، الحاج العتروس، لخضر بن طوبال، رايح بيطاط، وسليمان بركات وآخرون.

ما أكثر هذه الأبراج، وما أسهل سقوطها، أمام ضربات جيش التحرير



أصبحت الثورة بضربات قوية وعنيفة نتيجة عمليات الإبادة، وحالات الحصار وتطبيق حالة الطوارئ، حيث أخذت عمليات المجاهدين، ضد مراكز ومنشآت العدو تتقلص شيئا فشيئا، وتكاثرت التساؤلات عن حقيقة مصير الثورة، ونشطت أرواق الدعاية الفرنسية في الداخل والخارج، تبشر بالقضاء على ما أسمته بالخارجين عن القانون وقطاع الطرق، وصفقت كثيرا، لاعتقال قائد الثورة وملهمها مصطفى بن بولعيد، ووزعت آلاف الأطنان من المنشير، تدعو فيها السكان للهدوء والتعقل، وأن فرنسا ستوفر لهم الشعير والقمح والأمن.

وفي 03 أبريل 1955 طبق القانون الإطاري على منطقة الأوراس لخلق الثورة، التي جعلت النظام العام في خطر، وكذلك الوجود الفرنسي في الجزائر، وفي يوم 28 أبريل 1955 ومع فشل هذا القانون أعلنت القيادة العسكرية تطبيقه على كل البلاد، وأحضرت فرقا شرسة من المظليين، المتخصصين في عمليات الحصار وحرب الجبال، وتضاعفت القوة العسكرية وكان معها الوحيد، محاصرة الثورة داخليا وحتى لا تصل بالشرق العربي⁽¹⁾، وإحكام منافذ الحدود الليبية، التونسية والمغربية في وجه تزويد الثائرين بالسلاح والعتاد الحربي، وتضاعفت الحملات الكبرى، والاعتقالات الجهادية والزج بالمواطنين بالجملة في السجون الرهيبة، والمحتشدات الكثيرة، فكانت القوات الفرنسية، التي تواجدت في الأوراس في فترة خمسة أشهر، تعادل سكان الأوراس تقريبا، بل أكثر إذا قابلنا الرجال بالرجال 19.

(1) للتذكير، أن القائد مصطفى بن بولعيد، أُلقي عليه القبض في الحدود الليبية وكانت وجهته القاهرة.

الهجوم العام

لم تحقق تلك العمليات الكبيرة - التي كان يعتقد أنها لا ترد - أهدافها في القضاء على تأجيج الثورة، أو إرهاب السكان في أوراس - النمامشة.

وإلى جانب ما كانت تدفعه فرنسا من جهد عسكري ضخم، نظمت أجهزتها الإستعمارية حملة دعائية واسعة، لتجديد المظليين وإرهاب السكان، وقد جاء في أحد المنشورات العديدة، التي كانت تلى بالطائرات على المدن والقرى والمداشير: (عما قريب، سيتزل السخط على رؤوس المتمردين، بعد ذلك سيحل السلم الفرنسي من جديد)⁽¹⁾.

وأعطيت التعليمات إلى رفع عدد المحتشدات والتجمعات والمعتقلات والسجون، لأن سكان الأوراس، اعتبروا جميعا (فلاقة) (Tous des fallagas) ورغم تلك الاحتياطات ومضاعفة الإمكانيات الحربية، فإن الثورة استمرت في حصد وقطع رؤوس المتدين والمعلماء، وزرع الرعب فيهم، حتى ضاقت بهم المنطقة يا رحمت.

إلا أن العمليات العسكرية الكبيرة، وعمليات التمشيط المكثفة، واستعمال العتاد الحربي التطور لفرنسا والحلف الأطلسي، وتسخير آلاف الأجناد من أوروبا، قد شكلت مضايقة لا تطاق، وخناق شديد على الوحدات الأولى المكونة لجيش التحرير الوطني.

وكان نائب القائد مصطفى بن بولعيد في أوراس النمامشة، البطل بشير شيجاني، قد أدرك أن الثورة، قد تنكس أو تنهض، إذا لم تستجد بالمناطق الأخرى، وعليه فقد بعث برسالة إلى قائد المنطقة الثانية (السندو، الشبال القسنطيني) البطل يوسف

⁽¹⁾ القلعة الجزائرية في عاصمها الأول، الدكتور محمد العربي الزبيدي، مرجع سجلت الإشارة إليه، 1984، ص 127.

زيغود، ينبئه، بأن الحالة قد لا تحتمل أكثر، ومطالبه بأن يعمل شيئا من أجل الثورة⁽²⁾. وكلف دورية من المغاوير الشجعان، بقيادة البطل أحمد جرجاوي للإتصال بالقائد يوسف زيغود، لإبلاغه أن الهلاك المحقق، قد أوشك أن يحل بالثورة، إذا لم تتحرك المناطق المجاورة، وذكره بأن الأوراس قد تعهد بتحتمل مسؤولية احتضان الثورة لمدة ستة أشهر، ولكن عدد الشهور تجاوز ذلك، فإلى متى سيظل صامدا ٩.

رأت قيادة المنطقة الثانية، أن المهمة لكبيرة، وتحملها واجب ثوري، وأنه لا بد من عرقلة الإمداد الفرنسي، والتصدي للقوات الاستعمارية التي فتنازها إلى المنطقة الأولى، وقرروا فك الحصار عن المنطقة، وتأكيد استمرارية وشمولية الثورة المسلحة، التي فجرتها طلائع جيش التحرير في أول نوفمبر 1954، وإثبات عكس، ما يدعيه الاستعمار، بأن الثورة، ما هي إلا عمليات محددة، لبعض الإرهابيين والخارجين عن القانون من اللصوص وقطاع الطرق المتخذين من الكهوف وأعالي الجبال منطلق لغاراتهم تحت جناح الظلام ١٩.

إذن، فالحجوم العام ضرورة حتمية بتولاه الشعب، وتنفذه فرق المسيلين بأمر من قيادة المنطقة الثانية، تحت مسؤولية القائد يوسف زيغود، للرد على عمليات الإبادة والتقتيل الجماعي والسلب والنهب التي مارستها قوات جيش الاستعماري ضد المواطنين العزل في القرى والمدن لموقفهم من الثورة ومساندتهم للمجاهدين.

باتت العملية في حيز التنفيذ، وعقدت القيادة اجتماعات لتحليل الوضع، والتخضير للعملية الكبرى، وكان الاجتماع الأخير، مساء الجمعة 19 أوت 1955 ضم قيادة المنطقة (يوسف زيغود، لخضر بن طوبال، مصطفى عمار بن عودة، علي كاني، محمد الصالح ميهوب وعمار بوضرسة) وحضرته أعداد غفيرة من أبناء الشعب، وتم الاجتماع في دار (الزمام) لتوفير الأمن والكتمان، والسرية على سلامة العمل، وبعدها انصرفت الأفواج والجموع على بركة الله، إلى أماكن العمليات المحددة، ومواقعهم في المناطق

(1) للمزيد من المعلومات، حول المراسلة، راجع مجلة أول نوفمبر، العدد 86، ص 100.



قائد الهجوم العام، البطل الشهيد
يوسف زيفورد
(1921 - 1956)

في يوم السبت 20 أوت 1955 وعندما كان الفرنسيون، يطالعون الصحف التي نقلت إليهم حروفها، تصرّجات جنرالهم (سوستيل) أخبار استقرار الوضع، بعد التقهقه على المتمردين في أعالي قمم جبال الأوراس، ونجاح برنامج الإصلاحات، كان جيش التحرير، وجموع المواطنين، يكتمون الأنفاس، انتظارا للوقت الموعود، محبّين للمستعمر والمعمرين مفاجأة العشرين أوت.

وصل جنود جيش التحرير، صباح يوم السبت، متكرّين في الثياب المدنية، ومن تحتها اللباس العسكري، متجهين إلى الأسواق أو محبّين في المنازل والسطوح، أو متمركزين في الغابات، والوديان والمضارب والروابي والمزارع القريبة من الأهداف المحددة للمبليات، وهي (39) تسعة وثلاثون هدفا.

أدرك القائد العام للهجوم الشامل يوسف زيفورد، أن المواجهة ستكون مصيرية، وأنه كما صرح: «أن الحسارة ستكون مرتفعة، مستقرم بالهجوم الشامل، حتى ولو قضى على نصف السكان، فإن الثورة ستريح، لأن الجزائر ستتحرك، وعلى أية حال، فإن الثورة لن تكون (بعد الأحداث) أسوأ مما هي عليه الآن»⁽¹⁾.

وشملت الأهداف: معسكرات، مطارات، موانئ، مراكز الدرك، الشرطة، الأعوان، خطوط السكك الحديدية، مصانع، مقاهي، ضيق المعمرين، حانات، وبعض رؤساء البلديات، حراس الغابات، الخونة، عملاء المعمرين بدون استثناء، ولأول مرة منذ 1954 لا يفرق جيش التحرير في عملياته بين العسكريين والمدنيين الفرنسيين (المعمرين) وكانت الآية الكريمة دليلا في الهجوم «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين»⁽²⁾.

(1) الثورة الجزائرية من عامها الأول، الدكتور محمد العربي التبيري، مرجع سابق، ص 141.

(2) سورة التوبة، الآية: 36.

ومستما حان آذان الظهر⁽¹⁾، كانت الأعلام الجزائرية قد خفقت، ودررفت أمام الأفواج، ومع صوت المؤذن للصلاة، ترددت في الأرجاء الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، واختلطت أصوات الرصاص بزغاريد النساء، وصرخات عساكر العدو الفارين، إلى توكارهم، من حول المفاجأة، وبدأت الحرب الفعلية، التي هدّت أركان الاستعمار، ونقّرت عملاءه، وسجلت النصر اللين، الذي تحقّق بنحطه أسطورة الاستعمار وجيشه الذي لا يُغلب، وإعادة الثقة للمجاهدين والشعب، وفك الحصار المضروب على أراض النواحي، وهروب معمرى المنطقة، وترك ما كان بأيديهم، وما نهبوه من أملاك وغيرها.

إن ملحمة الشمال الفلسطيني، جعلت فرنسا تشري (50) طائرة مروحية و(100) طائرة من طراز (B26) من أمريكا، وجاءت بالفرقة الأجنبية يوم 24 أوت إلى الجزائر. وأحضرت الفرقة الثانية الآلية من ألمانيا يوم 26 أوت، بالإضافة إلى الإمدادات، التي تلقّتها من الحلف الأطلسي وأمريكا.

وبعد الهجوم الموفّق في تحطيم شوكة الاستعمار، قامت قوى العدوان برد فعلها الانتقامي، الذي ظهر في تدمير مئات القرى والمدن عن آخرها، بما فيها إبادة تامة لشعبها: قرية قفلة، الكاف، أولاد غواط، الجمري ودوار لحضر وغيرها.

(1) إن التحار يوم 20 أوت 55 كان في منتصف النهار، وهو من جهة أخرى يعلل في طلبه ردا على أزمة التي عانت من جانب المجاهدين ورجالهم، لمصلحتهم لا يظهر من سري ليل كالحفاليين.

وأما هذه التحية من خلال التحار يوم 20 أوت لتفكيك العمليات، وهو تاريخ نبي الملك المغربي محمد الخامس من طرف الاستعمار إلى معسكره، ليؤدج النضال المشترك للشعب المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي.

القلاع الخالدة

نسجل للتاريخ، البقاع والأماكن والقرى والمدن والجهات، التي خاض أبناؤها الشجعان، غمار الهجوم الشامل، الكاسح، على الاستعمار الفرنسي في 20 أوت 1955، وهي:

سكيكدة، الطاهير، الحروب، القل، البلية، جبجل، قلعة، وادي الرناني، الحروش، عين قشرة، قفلة، عزابة، جندل، سطورة، سيدي مزغيش، محار الدشيش، عين زويت، تامالوس، الفهدي، الفخارة، ملعب (كونداس: 20 أوت)، ملعب (القيبية: الشهيد البشير بوقادوم)، سبع أيار، العالية، وادي قصب، مشوة، عين مكناسة، وادي بوساية، المشابشة، بولطايدي، لغواط بواي محقن، لحفاير، البومبات، عين رقادة، تاملوكة، عين مخلوف، عين التراب، جبل العنصل، رأس العقبة، جبل عين الصمغ، وادي الساحة، السطارة، العولة، الزقزاق، الركنية، مشنة، كرمات، رأس الماء، انراينة، المابل، شعاب بن جنديد، وادي بوكركو، العرازلة، بني ولبان، الكاف، أولاد غواط، دوار الولدة، واد جامع، سيدي عبد الرحمن، سيدي نصر، جبل يسي، دوار بني معمر، دوار برجانة، زردلثة، دوار غزالة، دوار النبل، بوطناش. أم غريون، الوادية، وادي برجانة، بوخداش، سيدي معروف، البادسي، واد عسكر، الجمري، دوار لحضر، حمام بن هارون، زقاب، جبل الوحش، عينة الغول، عين لفجوج، واد حريد، طابوش، واد عربي، سيدي مبارك، بوهمدان، لطاية، جبل بوحراث، جبل بوغريس، عين حسانية، جبل موانة، عين السانية، عين نشمة، جبل فيض الزينة، كاف الصبحي، قرية الهندي، الجمري، أولاد مساعيد، بوخلوف، بو الزعرور، لصفاح وأولاد مسعود، أولاد الحاج، عين الطاية، السطحية، عين العربي، الزويتنة، تيرا، تاسقيقت، شقرا، لجبال، زاهر، أراقو، لعذر، وادي زقار، احزوزاين، قنطرة احزوزاين، بولحام، قنطرة حمادة، بئر السطل، شعبة المهري، بوساطور، وادي السد، برج القدير، وادي

الحروش ، ريتوند ، رأس البراج ، الدردار ، السراد ، مشاط ، المرجة ، أم الحنوش
وحيدة وغيرها...

وكان عدد الضحايا الذين جادت بهم هذه الأسماء الخالدة (12195) اثنا عشرة
الف ومائة وخمسة وتسعون شهيدا وشهيدة، خلال (3) ثلاثة أيام مشهودة، وأربع
ليال حاسمة ، والموقف يحتم بأن أذكر هؤلاء الشجعان ويقدر المستطاع ، لأنهم أحق
بالذكر لما صنعوه لنا، من مجد وفخر وعز، وما صبروا وتحملوا وحققوا، وهم : يوسف
زيقود ، لخضر بن طوبال ، مصطفى عمار بن عودة ، علي كافي ، محمد الصالح ميهوب ،
عمار بوضرة ، العربي الملي ، حسين بوعل ، علي بوزردوم ، عبد الله بن طوبال ،
صالح بومزدور ، عمر قرني (موسطاش) ، مسعود بوعل ، لخضر الواهم ، محفوظ بن
جفلاف ، محمد الصالح العاكر ، بلقاسم كريس ، محمد خباب ، بخوش الساسي ،
العربي مدور ، بلقاسم ذباب ، حسين بوجير ، الطيب الثعالبي ، عبد الله بن الصم
(مسعود الطاهيري) عمار بن ديش ، علي منجلي ، عمار هيهوب ، أحمد بو ضرورة وأبنائه
الشهداء الستة ، عبد الرحمن قسيس ، أحمد هيهوب ، بو ضرورة عمار ، مسعود
بوغشة ، الحاج صالح دحمان ، اسماعيل زقات ، عبد المجيد كحل الرأس ، علي شوشان
سي علاوة بوعزيز ، الطاهر بلعابد ، المختار دخلي (البركة) ، مبروك عبدي ، مصطفى
عواطي ، عبد السلام سلامي ، عمر طلاع ، علي رزماني ، مسعود بوجيرو ، صالح
بونيلر (صوت العرب) ، الشريف الزادي ، بن مصطفى علوش ، مسعود شعراوي ،
سي محمد بوشعالة ، محمد بلعابد ، صالح بن عتيق ، السعيد بوزدوم ، زيدان قليل ،
الشيل الصيف (بوخية) ، البشير بوقادوم ، الساسي بيتي ، الدراجي العايب ، أحمد
موات (كشريد) ، مصطفى بن الشاوش ، علي الشارف ، محمد شريم ، محمود برواق ،
عبد الله التاهل ، خليفة «بوز» ، أحمد معيش ، مالك غميطة ، رشيد بوعبوش ، فردي
بوقة ، بلقاسم بن عبد الله حجامس ، الطاهر الديمقراطي ، عبد الله بالراسي ، محمد
بوحوكل ، علاوة علقمي ، محمود جبلي (الراوية) ، بوقة مزدي ، محبوب العيفة ،
الشيخ «الحراس» ، حمود بالحروش ، علي زغموت ، مصطفى فيلاي ، علي نموشي ، عبد
المجيد كروش ، عمر العايف ، سعيد عيمون ، عبد الحميد قريوع ، محمد بن الساسي ،

بلقاسم ذيلاني ، صالح مسطور ، علاوة بعلوش ، صالح بوزغاية ، أحمد بركمة ، بشر
سلطان ، خضر بولدوني ، رجم شطاطا احمد حفص ، موسى بوقرة ، دحمان مسعود ،
عمر الشيل ، عبد الحميد ديلنجار ، مسعود ليثي ، عبد الرحمن شطح ، محمد
خالدي ، حمادي بولدوني ، عمر بوركاي ، حسين سلجاء ، أحمد بوقرة ، حسين
ساكر ، مسعود بن غرسالة ، مسعود لكحل ، حمودي حمروش ، بوزغاية قذافي ، محمد
تيتيش ، أحمد بودلاعة ، عزيز الواهم ، محمد قشيش ، حسين جرو ، عبد الراوية ،
عبد الحميد لساق ، اسماعيل قروط ، زكية يسعد ، الزغدة بوقندور ، ميهوب بعلول ، عبد
الحميد كحال ، محمد بوحوش ، أحمد قديد (الفطابري) ، علي نظور (عني الساسي) ،
رابح حملاوي ، سي عمار الشطابي ، مبارك علوش ، ابراهيم فوفو ، محمد بن صالح
نظور ، بوقة علوش ، علي بوزرد ، بوخميس بغيعة ، عبد الحميد زوطال ، يوسف
لقرور ، محمد الصالح بوسلامة ، محمد بن طعيج وأبنائه : أحمد ، الحواس ، شيان ،
المسعود بوعدة (عمان) ، السعيد عمير مدور ، مولود مخلص ، العيد بلحواس ، ابن الشيخ
كبلوتي ، بوزاو مريم ، مسعود شرق ، بشير الحروشي ، ابراهيم شيوط ، علي بن
محمد تنور (الساسي) ، عبد الرحمن بوسمدي ، صالح بوجمعة ، مصطفى حركات ،
الشريف الزادي ، محمد الصالح المطروش ، عبد السلام بخوش ، رابح بومصيف ،
الساسي كعبوش ، بشير سلطاني ، علاوة علي ، مسعود بن غرس الله (الحراس)
رمضان بن زيتون ، محمد ديون ، لخضر بكوش ، الطاهر بوقوف ، علي بومانيا ،
محمد بوعسلة (بن سلطان) ، الطاهر رويح ، البشير الصاولي ، الطيب زهد ، محمد
بليزدي ، بلقاسم الأوراسي ، العيدي فطابسي ، علي موسى الصيف ، الساسي
بوعصيدة ، علوش بوقة (مبارك) ، عياش رابح ، حسين بالشيخ ، السعيد كحل ،
محمد كحل ، محمود فنيخ ، الزواوي بورنان ، أحمد بورنان ، الطاهر أميش ، السعيد
بوربيع ، مسعود شينتي ، عمار عزوف ، محمد قريوم ، الطاهر بوشحيط ، صالح
بوشمور ، يوسف قديد ، عبد الحميد بن كحول ، اسماعيل عبد الصالح ، الطاهر
الديس ، صالح بوجمعة ، سي مسعود بوجيرو ، رمضان بولس ، بلقاسم بومرارة ،
بوقة علوش ، المولود عرنان ، بوخميس سفير ، موسى بوعيسى ، المولود مسكر ،

صالح زعير ، لويس زعير ، أحمد حداد ، محمد هدام ، زعدود زرويل ، علي عبد النور ، العربي بوشعور ، السعيد مدور ، مبروك عبيدي ، عبد الله بوشعور ، سي عبد الله عويس ، مسعود بوعشة ، الطاهر قوباش ، علي بولوج ، الطاهر رحمون ، حميد ديلنجار ، عيسى صمودي ، بوجمعة فوناس ، أحمد بوعافية ، يوسف بوحجة ، عمار وادي ، حسين الزاوي ، عبد الله خلوط (خالي) ، عيسى صمودي ، رابح أزطوط ، عمر لطرش ، الطيب بن حسن ، الخميس كحيلة ، ابراهيم بن محفوظ سعدي ، لخضر صمودي ، علي بوسناني ، أحمد بن سعيد نقايبي ، ابراهيم قوناس ، مبروك شلبي ، الداودي بالراوي ، محمد تربي ، عمار بهلول ، محمد عايدي ، محمد الأسود ، اسماعيل سلجاني والآخرين.

بعد الهجوم الشامل، لم يعد الفرنسي يقاتل من أجل الانتصار أو البقاء في الجزائر، بل للنجاة والهروب بجلده. وتجنب الضربات السديدة التي اشتدت وتجددت، وصار يمي نأاما، أنه مفادر لا محالة، كرها أو طوعا أرض الأحرار.

ولنعد إلى أوراسنا الصامد، الذي لم يترك الراية تتكس، وأصبح في مواجهة بأسلة مع أبطال المنطقة الثانية والقبائل⁽¹⁾، التي صمدت صمودا لا يقل عن منطقة أوراس النامشة وبذلك انتهت مرحلة الضعف والتردد، وبدأت مقدمات الظفر والنصر، التي تحتاج أكثر فأكثر، لتضحيات جسام وعظام.

عناق البنادق

أصبحت القوة الفرنسية في الشرق الجزائري، بعد الهجوم الكاسح، مشلولة القوى ترنح أمام الضربات في جهات متعددة، مما جعل قادة فرنسا والحلف الأطلسي، يضطربون في خططهم العسكرية الفاشلة ويغيرون استراتيجيتهم الحربية.

وحدث في 11 نوفمبر 1955 أن تمكن قائد الثورة مصطفى بن بولعيد، من الهروب مع ثلة من الأبطال المحكوم عليهم بالإعدام من سجن الكدية⁽¹⁾ بقسنطينة، وهنا أرغت فرنسا وأزيدت، ولكن القائد وصحبه الميامين، نجوا وعادوا إلى مرابضهم في جبال الأوراس.

رتبت قيادة المنطقة الأولى اجتماعات عديدة لدراسة وعرض حال نتائج هجوم الشمال القسنطيني وحملة الجنرال (جيل) على الجهة، وما استجد من أمور، أثناء وجود قائد المنطقة في السجن.

في الشهر الأخير من 1955 تدفقت قوات لا حصر لها على أرض الجزائر، لإعادة تلك الشجاعة التي فقدت أثناء الهجوم المظفر - للجيش الاستعماري والمعمرين الذين فروا تاركين وراءهم كل شيء طالين النجاة بأرواحهم من المد الثوري، الذي لوى أعناقهم، وقطع منها الآلاف⁽²⁾.

(1) للمزيد من المعلومات، حول العملية، طالع كتابي، فاتحة النار، العقيد مصطفى بن بولعيد، الهروب الكبير، دار الهدى عين مليلة، 1990، ص 31 - 33.

(2) الهجوم أدى خلال عام 1955 إلى هروب أكثر من (120) ألف (معمرين) من منطقة الشمال القسنطيني والآخرين إلى فرنسا، وهؤلاء أطلقت عليهم الثورة، الإعدام السوداء، وصغر كذلك كل من كان في الجزائر وخرج منها أثناء الثورة التحريرية.

(1) في لبي، أن أكتب عن أبطال ثورتنا الخالدة، وأرجو من الله، أن يوفقني في الكتابة عن (ملك الجبال) الشهيد آيت حمودة عيروش، القائد الذي دوخ (14) أربعة عشر جنرالا وعشرات العقدا ومئات الضباط من مختلف المراتب، وقهر جيوشا، لا تعد ولا تحصى في جبال القبائل الكبرى الشاهقة.

ونتيجة للهجوم الذي قهر الأعداء، أقصي في يوم 28 جانفي 1956 الجنرال (جاءك سوستيل) الوالي العام من منصبه، وغادر الجزائر في 2 فيفري 1956 وعُيّن خلفا له، الجنرال (كاترو) الذي وجد معارضة شديدة من المعمرين، مما اضطره إلى الاستقالة في 7 فيفري، أي بعد خمسة أيام من تعيينه، وعُيّن مكانه السفاح (روبيرت لاکوست) الذي سمح للمعمرين تكوين المنظمات الإرهابية، وأجهزة القمع البوليسية، ووضع على رأسها الجنرال (جاءك ماسو) وقد منحت له كل الصلاحيات للقيام بالأعمال الإجرامية من خلال المعلومات التي يحصل عليها عن تحركات المسيلين، وتكوين قوات مضادة لذلك، وأمام هذا الوضع الخطير، كان على قادة الثورة استدراك الحالة، قبل أن تدك معانقها، ويوضع عليها ثقل أوروبا العسكري.

وأمام هذا الوضع الخطير، كان على قادة الثورة استدراك الحالة، قبل أن تدك معانقها، ويوضع عليها ثقل أوروبا العسكري.

وعليه، فقد أعيد تنظيم هيكلة جيش التحرير، من حيث الأفواج والفرق إلى وحدات وسرايا قليلة العدد، وأعطيت الأوامر للمجاهدين بالتوجه إلى الجهات التي يعرفون مسالكها، حتى يسهل الإفلات، أثناء اشتداد الحملات الكبرى، وعدم إطلاق النار إلا في حالة الدفاع، أو للضرورة القصوى وعدم استعمال الأسلحة الفعالة⁽¹⁾ التي غنمها المجاهدون من أبراج المراقبة⁽²⁾، أو في معارك أو كمائن نصبوها للعدو.

(1) جيش العدو لا يتورع في استخدام كل قواه البشرية والحربية، لاسترجاع قطعة سلاح ففك، لذا فإن جيش التحرير لا يستعمل الأسلحة الفعالة المتطورة إلا بتوفر شروط منها: الرامي يجب أن تتوفر لديه الشجاعة الكافية، وأن يكون قادرا على حسن استعمالها وبندقة متناهية.

(2) حدث في شهر ماي 1956 على الساعة العاشرة صباحا، أن قام (28) ثمانية وعشرون مجاهداً من جيش بني لرح بالمحرم على مركز معاقبة العسكري، وبعد اقتحام محكم ومعرفة بطولية، لم الاستيلاء عليه بعد أن سقطت حائره بين قتل وجرحي وأسر، وغنم المجاهدون مدفع جهازي (7/12) من برج المراقبة، ومن أبطال الهجوم تذكر (عبد القادر تاسر، عبد القادر السج، لخضر بن الجبل، علي بن واخير، الصالح نزار، الصالح زيدان، الحاج عمر المساسي، الصالح جزار، بلقاسم مشلق، لخضر الشايب وشير منفوخ.

إن وجوه هذه القطعة الهامة لدى جيش التحرير تحتاج لبحث خاص، ومتابعة مستترة من حيث تواجدها وتوزيعها، ويمكن أن نعلق عليها (نعت 7/12) في الأوراس.

وكان اجتماع مارس 1956 بقيادة مصطفى بن بولعيد، الذي ضم مسؤولي الجهة الغربية من الأوراس، في المكان المسمى (تافرن) قرب نارة، ناحية منعة، والذي حضره كل من: سي الحواس، الحاج لخضر، محمود بن عكشة، الطاهر غمراس (النويشي)، مصطفى رعايلي، علي بن شايبة، أحمد قادة، عاشور سي زيان، عمر بن بولعيد، عبد الحميد عمراني، أحمد نواورة، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، محمد بن المسعود بلقاسمي، ومسؤول الناحية علي بعزي.

في هذا الاجتماع، تم عرض الحالة العسكرية والسياسية بمنطقة جنوب الأوراس والصحراء، ولأول مرة تطرح، فكرة تكوين الولاية السادسة، وتبادل القائدان مصطفى بن بولعيد وأحمد بن عبد الرزاق سي الحواس، التوجهات السياسية والحفظ الحربية، التي يجب أن تنفذ في الأوراس والزيان والصحراء.

واستبشر الجميع خيرا بالثورة، بعدها أعلن شيخ المجاهدين عاشور سي زيان، انضمامه تحت قيادة مصطفى بن بولعيد بجيشه البالغ أكثر من (700) سبعمائة مقاتل، ليصبحوا مجاهدين في صفوف جيش التحرير الوطني.

لقد انضم هؤلاء الغيارى الشجعان بكامل أسلحتهم وعنادهم الحربي المتطور، وكانوا يشكلون جيشا قويا، باسطة سيطرته على منطقة أولاد جلال وجبال أولاد تليل من أقصاها إلى أقصاها، ونذكر بعض هؤلاء الأبطال: أحمد طاجين، محمد لكحل، رمضان طيش، أحمد بن بوزيد عاشور، الصالح معيزة، سي علي عاشور، محمد الصغير زهانة، سليمان شخشوخ، أحمد دلول، محمد الصغير الأمين، أحمد غربية، أحمد بن رحمة عاشور، المسعود شرقي، مفتاح الدراجي، عمر بلدي، الصالح معاش، الطيب فرحات أحميدة، الطاهر برمة، عبد القادر بجاو، قويدر دهان، النوري بومدين، قويدر العمري، أحمد بن الهادي مسحي، أحمد بومدين، الصالح إبراهيمي، سليمان سلهاني (لكحل) عيسى النوي، الحواس عاشور، محمد طالي، بو فاتح الجروني، محمد الصغير خمخام، عبد القادر عاشور، عمر توام، عبد القادر كشيدة، لخضر هالي، عاشور سليمان، عبد الرحمن بلهادي، عبد الرحمن غربية.

السيد لقوش، العربي بايزيد، السعيد عبادو، عبد القادر عويطة، صاولي الجيلالي،
عبد الكريم زمري، العربي بن الأمين، أحمد لقويرح، محمد شخشوخ، الصالح بن
تواني، عبد الرحمن البوزيدي، محمد العربي أولاد موسى، الغول بن صالح، سي
بلقاسم الشريف، محمد الأحمر، سي عبد الله السامي، المختار بن بوكري، العمري
قويدر، أحمد السبع، سي بوجمليين رويطة، عبد القادر جغلانف، أحمد مجمع، سي
الحضر روني، محمد الصغير الجودي والآخرين ..

إنهم قية أدركوا، أن الاستعمار يعمل بواسطة أذنا به على زعزعة قيم الثورة، وعليهم
الوقوف بحزم وصرامة في وجه الدسائس والمؤامرات التي تحاك وتخطط في باريس
وعواصم الحلف الأطلسي، لتنفذ على أرض الجزائر الصامدة.

لقد كانت كتائب حشود جيش التحرير مبتهجة بلقاء الجبل الأزرق، الذي وَجَّهَ بين
مجاهدي وثوار الأوراس والصحراء، وأوجد صيغة موحدة للتعامل السياسي والتنسيق
العسكري بين القادة، وتماثق الجميع وتشابكت الأيدي على العهد ضد الاستعمار،
ورددوا أهانيج الظفر وأناشيد الانتصار.

وفجأة، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ كانت الفاجعة الكبرى⁽¹⁾ والحدث
الأعظم، الذي جعل القرارات تطاير مع الشظايا، لتعالى، وتماثق أرواح الشهداء
المحاليين: قائد الثورة وملهمها العقيد مصطفى بن بولعيد والأبطال الأفذاذ: علي بعزيز،
محمود بن عكشة، عبد الحميد عمراoui والفضيل الجلاي.

أقبلت جنبها عاصفة عاتية هوجاء، قاتمة قاتلة، تسف من كل حذب وصوب،
لحصب الوجوه وتحف الحشود، الذي كان من شدة الخطب والمول في ذهول ووجوم
ومست رهيب، مسموم، يهدق كل منهم الى الآخرين في نظرة تساؤل واستفهام،
يختمون زمرا ويفرقون، وهم يترامسون من جهة لأخرى، بينما تبادل البعض كلمات
جارية وألفاظ قاسية، ذات معنى ومغزى ميت.

أشلاء وجرحى وضحايا، هنا وهناك، ازدادت التساؤلات، وتمالت الصيحات
الحاخا ولجاجة، بينما الأسلحة تصتك بالأيدي، والأصابع تتردد في الضغط على
الزناد، والأرجل تتردد في إقدام وإحجام، الكل متأهب للتأثر والانقضاض على
الجميع، وأطلقت رصاصات مبهولة، أصابت البعض وأضحى الجو مشحونا بالدخان
الداكن.

وكانت الحماسة تتجلى في عبارات التشجيع، التي تبادل بين الحين والحين
في الوجوه الغاضبة الثائرة، والنداءات التي تترى مرعدة بأصوات جهورية (الله أكبر،
الله أكبر) ورددها جميع المجاهدين، وقد ثبتوا وصبروا وتمعنوا، ولولا لطف الله العلي
القدير، لكانت الكارثة الكبرى، التي لا نبقى من المجاهدين أثرا، ولا تلو شئ يذكر
للثورة في الناحية، بل مقبرة جماعية كبيرة لقادة وجيش تحرير الجزائر.

(1) الفضيل الظفر: ظروف الاستشهاد في كتاب قائد النار، مرجع سابق ص 44 وما بعدها.

الصحراء بيدنا

في عام 1956 تم اكتشاف البترول في الصحراء الجزائرية، وسارعت فرنسا إلى ضرب نوع من الحصار والتطويق على المنطقة، وذلك بإصدارها قوانين تفصل الجنوب على بقية جهات الوطن، فكونت الولاية الرابعة عشر (الواحات) والخامسة عشر (الساورة) وكان الدخول للماليتين (الولايتين) يخضع لاجراءات قانونية خاصة. وقد أقيم حد فاصل، وخط لا يمكن تجاوزه إلا بأخذ رخصة الدخول، بل وقد انتهى الأمر إلى انشاء قيادة عسكرية منفصلة في الولايتين، كما أستحدثت وزارة الصحراء.

ونشأت فكرة الصحراء بحر داخلي، وكان الغرض منها نكران حقوق الجزائر في السيادة على الصحراء، وذلك بدفع الدول المتاخمة إلى المطالبة بنافذة على التراب الجزائري، وقد نجحت تقريبا المناورة في إثارة بعض المطالب والأطماع، لكن المؤامرة سرعان ما فشلت، بفضل المزيمة الصارمة التي أظهرتها جبهة التحرير الوطني وقوتها الفعالة جيش التحرير الوطني الباسل.

إن الصحراء ذات الأهمية الكبرى في سياسة ومستقبل فرنسا، جعلتها جزء وكأنه لا علاقة له بالأرض والانسان، بل جعلته حقلا ومجالا لأعمالها الاجرامية، وتجاربها الحربية المحرمة دوليا، إذ أن منطقتي (حمضين) و(رقان)^(*) أضحتا من المناطق التي شهدت أكبر اعتداء صارخ في حق الجزائريين الأبرياء.

(*) حدث في منطقة ورقان في الساعة السابعة وأربع دقائق من صباح يوم السبت 13 فبراير 1959 أن لجرت الحكومة الفرنسية قبلها القوية في صحرائنا، متحدية بذلك الشعوب الافريقية، وجميع شعوب العالم، لتكفي بعض ما كبه شاعر الثورة (ابن تومرت) وقتها، قال في قصيدة طويلة، تقطنف منها، هذه الأبيات:

وسبحني هذا الزمان وسوي
لقد الأسار من فرنسا وطرد
والقصر صارحا ... ولق يا فرنسا
يا فرنسا ... يا لغة البشرية

(ابن تومرت)

مجلة المجاهد، العدد 62، 1960، ص 9.

إن الثورة في الصحراء، لم تترك للعدو مجالا لتحقيق أهدافه الإجرامية الشريرة، فكانت العمليات المتتالية، تنفذ بدقة متناهية على الشركات العاملة ووسائل النقل والقطارات الحاملة للبترول، ونذكر بعض أسود جنوبي الأوراس والريان والصحراء، الذين واكبوا العمليات الحربية البطولية، وحققوا الانتصارات الرائعة: محمد بن المسعود قاسمي، علي مشيش، محمد بولعيد، الصادق بوكريشة، إبراهيم بويخلف، سي المسعود أونيسي، محمد الشريف عبد السلام، الحسين برحاييل، عبد الكريم سلاطينية، محمد مني، محمد عماري، مزبان عماري، فضيل مويسات، عمر عرامي، مسعود مدوري، أحمد بوصابر، أحمد زرواق، محمد بزبان، الصالح سلطاني (القط)، الصادق فرغوسي، لخضر يوسني، سعيد بومعراف، الطاهر حوقاني، مخلوف قاقا، محمد عربوات، علي دوحة، بشير بن الراهم، أحمد بوروية، عمر صغبرو، محمد شعباني، الحسين عبد السلام، عبد الحفيظ طورش، محمد الشريف بن عكشة، الطاهر الزبيري، محمد رونية (غنتان) محمد الشريف جبار الله، السعيد عبادو، عمر صخري، الطاهر لمجال، لخضر يوسني، علي بوغفيري، أحمد بوجنيقة، بلقاسم رناخي، محمد سيفونة، محمد مزوجي، بلقاسم عثمان، الطاهر برسولي، أحمد حشاشني، الوردني قصباية، لخضر السوفي، عبد الحميد خباش، الحاج عمر عمامي، محمد بوعقذن، بلقاسم مدور، أحمد برجبي، بلقاسم بوميلان، عمار بركات، عمر زيان، مخلوف بن غضبان، ساعد بن لخضر، محمد الحاج أتيهي، الدراجي لكحل، محمد عصيان، أحمد عبدلي، رشيد حليمي، البشير رزيق، محمد كحلة، علي الشريف، عبد الرحمن كحيل، أحمد التيجاني، عبد الرزاق ريني، عمر دباخ، مبروك شافوري، حنة لخضر، الهاشمي ونيس، عبد القادر رايس، عبد المالك حبيدي، ممان بقر، محمد لخضر هلايل، سالم حسوني، عباس عزيل، أحمد دراية، عمار قسبيوري، محمد قيرع، الحسن مالكي، إبراهيم قاسي، لمقدم مبروكي، الطاهر عيلان، الصالح ادريس، ضيف الله رحال، علي عمر اوي، بشير فام، الطاهر فرحات، وكثير من الأبطال...

بسكرة (جوان - أكتوبر 1956)

في مساء أحد الأيام، كنت عائداً من السينما، غداة وصولنا إلى بسكرة وسينا كنت ماراً بأحد الأنهج، شاهدت الجنود السنغاليين (القناصة) يحاولون اخضرار النار، وكان أحدهم، مازال ممسكاً بفأسه المضرع بالدماء، وكانت جثة أحد الجزائريين ملقاة أرضاً، وقد مُثِّلَ بها شرّ تمثيل، وفي هذه الأثناء مر ضابط برتبة ملازم أول، حاول تهدئتهم، وقد علمت أن جزائريين آخرين، قد نُفِّدوا إلى الموقع حيث قتلوا بواسطة قسيب، أُدخل في أذنها وعيونها، وقيل أن جندياً أوروبياً قام بتقديم يد العون لمؤلة القناصة، أثناء التنكيل بالضحيين، وأن عساكر أوروبيين آخرين، يتمون إلى كيتاء قد خرجوا يترأفون إلى هذا النهج وراحوا يطلقون الرصاص من بندقية رشاشة على غير هدى، فقتلوا جزائرياً رابعاً، كان الخوف قد دفعه إلى التمرس خلف باب داره، ثم جمعنا النقيب، وأمرنا بتفتيش عدد من أحياء بسكرة، والإغارة عليها، وهذا ما فعلناه.

لماذا لم يعترض ذوي الرتب الموجودين بالمعسكر على هذه المذبحة وجرائم القتل هذه؟

ولكن ما سبب هذه الاغتيالات. لقد تعرض أحد الجزائريين إلى عملية سلب بحفنة من قبل أحد القناصة السنغاليين، فاضطر إلى الدفاع عن نفسه، فأصاب بحرج عفيف قناصاً بحجره، وعندئذ انقض السيناغاليون على الجزائريين الذين وقعوا تحت أيديهم. لقد أعتقل الجندي الذي قتل المدني، وذلك بناء على طلب السلطة المدنية لمدينة بسكرة بتهمة القتل العمدى (وقد مُثِّلَ هذا الجندي أمام محكمة عسكرية، قُتِلَ بمرّة ساحتها، أي بعد قبول الدعوى).

الصفحات المربعة

تمثل هذه الوثيقة، التي نكتبها، عينة صغيرة ومحدودة، من حيث المكان والزمان، ولكن، عينة تصور لنا بكل وضوح، ممارسات الجيش النظامي الفرنسي ضد السكان العزل، ونصور لنا، كيف تحول هذا الجيش الرسمي إلى آلة للتعذيب والتقتيل الفردي والجماعي والتدمير والتخريب، وأداة سلب ونهب على نطاق واسع، وهي بالتالي شهادة تدل على هذه الممارسات وتندد بها، أنها شهادة جندي فرنسي استيقض ضميره، فقرر، أن يروي لنا وقائع التعذيب الوحشي داخل وحدات الجيش، وهو إذ يفعل ذلك، إنما يريد أن يعرف الناس، شيئاً من أهوال الحرب الاستعمارية في الأوراس من خلال ما شاهده بنفسه، أو عايشه عن قرب استناداً إلى ما شاهده رفاقه الجنود.

كتب الجندي جاك بيشو في مذكراته (سنة في الأوراس) يقول:

«كنت قضيت سنة كاملة في الأوراس، من مدة خدمتي العسكرية، وذلك بصفتي جندياً متباً إلى دفعة 2/54 ب من أبريل 1956 إلى أبريل 1957.

عدت بعدها إلى فرنسا، وأنا موسوم بالعار والشنار، مكمل بالحزري، يائساً لكوني اصطدمت بصفة دائمة تقريباً بجدار اللامبالاة أو من الحقد، كلما حاولت أن احتج لدى الضباط وصف الضباط، أو كلما حاولت أن أوقف الضباط، ضباط رفاقي الجنود».

ومن بسكرة، كنا نطلق للقيام بعمليات في الأوراس على وجه العموم، لمدة تتراوح بين (3) ثلاثة إلى (15) خمسة عشر يوما، وكانت هذه العمليات تستهدف في غالب الأحيان، المشاركة في ضرب الحصار، وكما كانت تجري، في أغلب الأحيان في مناطق محرمة (وهذه المناطق المحرمة تشهد اليوم توسعا كبيرا، كل يوم تشمل مناطق جديدة) مما يجنبنا كل احتكاك بالسكان المدنيين، ورغم ذلك، وأثناء القيام بإحدى العمليات التي جرت في الصحراء غرب (لوطاية) صادفنا ذات يوم مخبأ للبدو الرحل، أمرنا النقيب بإحراق الخيم والمثونة (المخزون الغذائي) التمسست من الرقيب الأول، وكان أكثر تفهما من غيره، أن نترك جزء من هذه المثونة، دون اتلاف فأذن لي بذلك، ثم أعدم الرجال رميا بالرصاص (احتفظ بأحدهم حيا، لحمل جهاز الاتصال ثم أعدم بمجرد الوصول إلى الشاحنة).

إن مبرر هذه الجريمة مبهم، فالمنطقة أصبحت محرمة منذ يوم أمس، وأن هؤلاء الرجال، لن يكونوا غير «مؤمنين» إلا أنهم لا يحملون غير ما هو لازم لبقائهم أحياء، ومن جهة أخرى، كان هؤلاء الرحل المقيمين بهذه المنطقة الصحراوية النائية غير المناطق الآهلة، حيث تبعد عن أقرب مركز عدة أيام مشيا على الأقدام، هل كان هؤلاء يعلمون شيئا عن الثورة؟ وعندما أعيد التفكير في هذه العملية الآن، فإنني مازلت أرى وجوه النسوة وقد ارتسست عليها علامات الخطر والرعب، ومشهد الأطفال الذين تركوا هناك، دون ماء، أمام رماد الخيام، ووسط الجثث التي فجرت رفوسها، وتناثرت أشلاء.

وأثناء نفس العملية، جرح أحد (التمرديين) خلال إحدى الاشتباكات، وحمل على بغل لمدة طويلة، لأنه كان عليه، أن يقودنا إلى مغارات (كهوف) تحتوي على الأسلحة، لقد مشينا طويلا، منهكين، قد أخذ العطش منا كل مأخذ (كما سقط عدد منا لأنهم، لم يقووا على النهوض بمفردهم، فكانوا شبه محمولين أو متكئين على رفاقهم) دون أن نعثر على هذه المغارات.

وفي اليوم الموالي استأنفنا البحث عن هذه المغارات، ولم نعثر على شيء، ضرب الجريح بمؤخرة البنادق في موضع جروحه، ثم قال لنا النقيب، وقد بلغ به التعب كل مبلغ: فجروا عنه، لا، أنه لأمر مؤسف، أن يتسخ اللحاف أقدفوا به من القفالة (حاملة الجرحى) وراح الجريح يتدحرج على الأرض، ثم قتل برصاصة في الرأس.

وفي الأوراس، كنا غالبا ما نجتاز قرى مهجورة، كانت تعرضت لقنبلة الطائرات أو أحرقت، وقد صادفنا في العديد من المرات مدافن، تنبعث منها رائحة كريهة جدا ومنفرة، امتزجت فيها جثث الرجال بجثث البغال، إنها قوافل طاردها الطائرات، ثم انقضت عليها، فأهلكتها عن آخرها.

وفي القرى الآهلة بالسكان، الواقعة في المناطق المحرمة، والتي مررنا بها، كان عدد المدنيين يعذبون أمام الجنود، على وجه العموم، بل وبمشاركة فعالة لبعض جنود الخدمة العسكرية، أو الجنود العاملين.

وخلال شهر جويلية، حين كنا غائبين عن بسكرة، استدعيت كتيبتنا على جناح السرعة، وعند وصولنا، إليها كانت ساحة السوق ما زالت محترق، وإليك ما حدث:

تعرضت دورية، كانت تمتطي سيارة، من نوع (جيب) لوابل من رصاص بندقية رشاشة، قتل من جراء ذلك، قناصا سنغاليا، برتبة عريف أول، قائد الدورية، وذلك خارج بسكرة.

وعلى إثر هذا الكمين، سارعت كتيبة من القناصة السنغاليين بالتزول إلى مركز المدينة (وسط المدينة) حيث أحرقوا الحمي الميزالي، وقتلوا (35) شخصا ثم عسكروا حول أحد بساتين النخيل بالقرب من بسكرة، وقاموا بقتل (325) ثلاثمائة وخمسة وعشرون مدنيا، حسب أقوال أحد رفاقي الذين كان ملحقا بهذه الكتيبة الأفريقية، أما ضباطهم الأوروبيون، فكانوا حسب شهادات أحد رفاقنا، يأكلون ويشربون بتادي الضباط، لقد لجأوا إلى النادي، حتى لا يضطروا للتدخل.

وعلى إثر هذه الأحداث، فرّ عدد كبير جدا من الأهالي، وأغلقت المحلات التجارية، جميعها طيلة عشرة أيام، ولم تفتح أبوابها، إلا بعد أن تدخل الجيش الفرنسي.

ومع نهاية شهر جويلية، قُتل أحد رفاقي، وهو برتبة رقيب عامل، وذلك أثناء كمين، وقع داخل أحد بساتين النخيل بالقرب من القنطرة، أمر النقيب (م) قائد الموقع، بقصف هذه القرية بمدافع الهاون، لكنه لم يخلف ضحايا على ما يبدو، وفي الغد تلقت كتيبتنا الأمر، بتفتيش القرية المذكورة، وكانت فرصة سانحة لنهب وسلب القرية الآمنة، وهي مدينة صغيرة، على جانب كبير من الثراء، وكانت منازل الأغنياء والدكاكين مصدر كسب للجنود، لقد سرقت الأموال (النقود) التي عثر عليها في المنازل أو في صناديق التجار وخزائنها، ولدى تفتيش النساء (لقد عثروا أحيانا على مبالغ هائلة قد تفوق (100) مائة ألف فرنك دفعة واحدة).

لقد صرح لنا قائد فصيلتنا الرقيب الأول (ف) قائلا: من يعثر على دراهم ولم يأخذها، فهو أحمق، أو مغفل لا محالة، وبعض هؤلاء الجنود كان يتباهى باغتصابه النساء، ونقيينا الذي كان يشهد عمليات السلب والنهب، فإنه لم يشارك بنفسه فيها،

أو لم يأخذ شيئا لنفسه، غير أنه عندما مر أمام دكان مسلوب، حيث كان صندوق أمواله قد خلع، ومحتوياته خاوية على عروشها، والبضائع الغالية الثمن قد نهبت، تناول حبة حلوى ووضع مكانها (5) فرنكات على ميسط السلع، وفي محل بيع الساعات، حيث جميع الأشياء الثمينة، كانت قد نهبت، قام بإعادة ميني عتيق إلى موضعه الأصلي.

وكان عملنا، ينحصر بين عملية وأخرى في القيام بأعمال الدوريات، صحة رجال الدرك، أو إقامة الحواجز على الطرقات خارج مدينة بسكرة، وكذا القيام بحراسة أسطح المدينة ليلا.

مكان الجزيرة التي اعترف بها السفاحون





ولما يتعلق بشرطة بسكرة، أشير الى أن مسلكتهم، إزاء السكان الى حد ما سليم، فرجال الشرطة، يشاركون في الغارات المفاجئة، وعمليات التفتيش للأحياء العربية، وكانت مهمتهم تتحصر في الحيلولة دون وقوع تجاوزات من قبل العسكريين، ورغم ذلك فقد أكد لي مفتش الشرطة القضائية (العديلة) لمدينة بسكرة، أنه كان يمارس بصفة اعتيادية، القتل على الطريقة المسماة (La Corvée de bois).

ومن جهة أخرى كان بعض رفاقي شهداء على العديد من الاعدامات المقتعة، بحجة محاولة الفرار، التي كان يمارسها البوليس، ومن ناحية أخرى، لقد كنت شاهدا على اغتيال أحد الجزائريين، بواسطة أحد القنطة الأجوريين من طرف البوليس.

كنا مكلفين بحراسة حاجز أقمناه على طريق سيدي عقبة، ومن موقعنا هذا، شاهدنا حشدا من الناس ملتفين حول جثة جزائري موقوفا، قد قطع عنقه، وعندما أحطنا الشرطة علما بالحادث، أجابنا رجال الشرطة، أنهم كانوا على علم به، وأنهم هم الذين ذبحوا هذا المشبوه، بعد أن أطلقوا سراحه، لقد ارتكبوا جريمتهم، ثم لبسوا الى (الفلاقة) الذين قاموا بقتل أحد أصدقاء فرنسا على حد زعمهم^(*).

(*) الشاهد الجندي حالة يشكو، نفس فترة خدمته العسكرية في ولاية مركز (الأوراس).

- مركز بوليفان، شمال شرق (Idgar-quinet) تابس حاليا، ولاية جنت.

- مركز بسكرة، مدينة بسكرة.

- مركز سدة، ولاية باتنة حاليا.

طابع كل ذلك بالتفصيل في صفحات مرمية، وشهد شاهد من أهلها، ترجمة الأستاذ عبد الكريم ربهان، مع الشاهد، النسان المركزي لجهة التحرير الوطني، العدد 1474، 4 نوفمبر، ص 11-12.

حامي الصحراء

إن الأحداث العنيفة التي واجهت الثورة، بعد أن أفاقت فرنسا من هول الهجوم العام، كانت خطيرة، إذ عمدت إلى استراتيجية جهنمية في التصدي لجيش التحرير، وتمثل في الدخول إلى القرى والتجمعات السكانية والتمركز بها، بإقامة المراكز العسكرية والتكنات وأبراج المراقبة.

في هذه المرحلة العنيفة، شنت قوات العدو، حملات رهية، تمشيطية على كل المناطق، ومن أشدها هولا، حملة الجنرال (ديفور) على المنطقة الثالثة⁽¹⁾، أثناءها كان فوج من الأوراس⁽²⁾ بقيادة عمر بن بولعيد، يتكون من (75) مجاهدا، متواجدا في المنطقة، للنشاور والبحث عن اختيار المكان الملائم لعقد مؤتمر عام للثورة⁽³⁾.

(1) بدأت الحملة في 29 ماي - 3 جوان 1956، ومن نتائجها: استشهاد (7) مجاهدين (3) من الأوراس (353) من المدنيين من جبال وقرى: جرجرة، الزرد، تيل، والبيان، تازمالت، سطيف، وادي الصومام، عين لقراح، مازقة، حوازقة، أوزلاق، أكفادو، بني غلبس، بوزناق، إيغزر أمقران ومناطق أخرى.

(2) منطقة الأوراس لم تشارك حليا في مناقشات المؤتمر إلا أن فوجين من المجاهدين توجهوا إلى الولاية الثالثة (القبائل) ووصلا إلى وادي الصومام، بعد انتهاء المؤتمر، ومكثا هناك مدة للاطلاع واستلام قرارات المؤتمر. وتذكر بعض هؤلاء الأبطال: عمر بن بولعيد، مصطفى رحابلي، أحمد قادة، علي مشيش، الحاج لحسن، المكي جيجي، أحمد تولورة، محمد لسودي، هبار بلعقون وإبراهيم كابوية وآخرين.

(3) كان لقراح طرد المؤتمر في المنطقة الأولى بكامل في غابة البراجة، أو في المنطقة الثانية بسوق هراس في جبل بن صالح، أو في المنطقة الثالثة بوادي الصومام بشار أوزلاقن بالقبائل الكبرى، فكان الاقتراح الأخير خاصة بعد استشهاد القائمين مسؤولي المنطقة الأولى والثانية: مصطفى بن بولعيد ومراد ديدوش.

في 20 أوت 1956، انعقد المؤتمر⁽¹⁾ بوادي الصومام، وقرر تقسيم التراب الوطني إلى وحدات جغرافية من أجل تسهيل تنظيم العمل العسكري، ضد قوات العدو في مختلف مناطق البلاد، وكذا تنظيم الاتصال بين مختلف هذه المناطق، وأصبحت البلاد مقسمة إلى ست ولايات⁽²⁾، وبذلك تكونت الولاية السادسة على نواة المنطقة الثالثة من الولاية الأولى، وعين على رأسها القائد علي ملاح، كقائد أول للولاية السادسة، ونمت ترقيته إلى رتبة عقيد، وصار يدعى العقيد سي الشريف^(*).

توجه العقيد سي الشريف، رغم الجروح التي أصيب بها في معارك سابقة إلى الولاية، التي أسندت إليه قيادتها مع كتيبة من المجاهدين، إنطلاقا من الولاية الثالثة إلى الولاية المترامية الأطراف ذات الطبيعة الصحراوية المكشوفة وكان الأمر صعب جدا، والمهمة خطيرة للغاية، ولما استشهد عُثَيْن خُلفاً له القائد سي الحواس، الذي كان يتولى مهمة الدفاع عن الصحراء وحمايتها من برائن الأعداء الطامعين.

(1) مؤتمر الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 بوادي الصومام، كان أول مؤتمر وطني يعقد بالشاغل بعد الدلاع الثورة، واستمر لثانية عشر يوما، وقد شكل مرحلة هامة من مراحل الثورة المسلحة، وكان نقطة انطلاق ولحول عظيم في تاريخها، أسفر عن وضع أسس ثابتة لمستقبل الثورة على نظام عسكري وسياسي قوي وفعال، ونتج عنه تكوين مجلس وطني للثورة، وتألّف لجنة التنسيق والتفويض، وأعطى المؤتمر لجيش التحرير دما جديدا، ونفسا طويلا، واستراتيجية محكمة.

راجع وثائق مؤتمر الصومام، وأيضا: التقرير الجمهوري للولاية الأولى، أحداث الثورة في الأوراس من 20 أوت 1956 - 31 ديسمبر 1958، ص 5 - 60.

(2) قسم مؤتمر الصومام الوطن إلى ست ولايات، وهيكلتها التنظيمي كالآتي:
- الولاية: تتكون من (6) مناطق، يرأسها قائد برتبة صاغ (عقيد).
- المنطقة: تتكون من (3 - 6) نواح، يرأسها ضابط (3).
- الناحية: تتكون من (4) قسبات، يقودها ملازم (3).
- المجالس الشعبية: وتتكون من مجلس من رئيس اللجنة، أمين المال، الموزع، الناشطون الدائمين المنتخبين.

(*) علي ملاح (العقيد سي الشريف): من مواليد 1924 ببلدية وأمكيرا، دائرة قراغ الجزائر ولاية قروي، وازداد من السابقين إلى النضال والثورة المسلحة من مرحلة الأعداء والتخضير إلى التنظيم والتضيق إلى المشاركة في القيادة، والتسيير إلى أن لاقى ربه، حيث سقط في ميدان الشرف والكرامة شهيدا بطراسي قصر البطاركة سنة 1957.



أدرك سي الحواس، أن المسؤولية كبيرة وجسيمة، ولكنه أصر على الشخصية،
وفعلا، عمد إلى توحيد أجزاء المناطق، الجنوبية والبعيدة، تحت نظام واحد يمثل
في الولاية السادسة، ووحدة مسؤولياتها، ونظم قاعدتها العسكرية، وثبت أركانها.

ورأى من الضروري، ربط الصحراء بالجبال، بالتحاذي مركز قيادي في الجبل بالولاية
الأولى، ومركز في الصحراء بالولاية السادسة، حتى يتم التنسيق، ونفذ أعماله
العسكرية والسياسية، واهتمدى لاختياد مركز في جبال الأوراس بكيميل، ومركز
في الصحراء بجبل ثامر، ناحية بوسعادة.

اهتم سي الحواس بتنظيم إدارات وهيكل الولاية، وذلك بالاعتماد على التكوين
السياسي والعمل الثوري لأن جيش التحرير، صار يخوض معارك ذات طابع خاص،
تتطلب معلومات عسكرية مدققة، ونظاما حازما، وطاعة مبنية، وهذا لا يمكن أن يتم
إلا بالتدريب والصرامة والتكتيك الحربي العالي.

إن مرحلة جديدة من الحرب بدأت، فبعد مرحلة الأفواج والفرق الصغيرة واللباتق
العامة، تشكلت إدارات جبهة وجيش التحرير الوطني، فكانت الأعمال الجبارة،
والبطولات النادرة من قبل جيش التحرير الذي تميز بأساليب حرية دقيقة، أثناء
العمليات الكبرى، تماشيا مع المتطلبات المستجدة، وتبعا لأرضية المعركة المكشوفة،
ونذكر بعض هؤلاء الحماة، حماة الصحراء في هذه المرحلة الحاسمة التي يشهد لها التاريخ
بقيادة العقيد سي الحواس: عاشور سي زيان، عمر ادريس، الطيب جفلاي، محمد
شعباني، حسوني رمضان، محمد روية (غنتان)، السيد عبادو، عمر صخري، محمد
الشريف عبد السلام، السبتي وزاني، اسماعيل خليف، محمد بن عمار مزاني، إبراهيم
قلوح، الهاشمي بن جديدي، الوردية قصباية، رابح تينة، قويدر غريب، العربي بمرور،
محمد الصالح بجاوي، نور الدين مناني، الصالح كرميش، سي محمد الشريف عمر
الدين، العربي طالبي، محمد قوائد، بشير الزير، مسعود قصوري، الحسين عيسى،
محمد رشيد الصاييم، لخضر تاجموت، المبروك بلعيد، علي عيسوي، السيد

بوزرقون، أحمد رويجل، عمر زابدي، علي جودي، كمال الوافي، الصادق الحرشي،
 إبراهيم شاطري، عبد الحميد سعيداني، خضر خلايصي، عبد الرحمن بوزيدي، أحمد
 بجاوي، محمد عثماني، العربي بن اليمين، الشيخ علي جهرة، رويس قحصاب، محمد
 الكرمي، عمر دحماني، مسعود قصوري، الشريف عصان، بولرباح السائب، العايش
 بادسي، يوسف لعمودي، لقمان أحمد بن خضر، محمد الصغير نعام، مخلوف بن
 قسيم، علي قوجيل، محمد مونس، خضر عبيد، عبد الجبار المدني، الحاج شيبوب،
 الشريف قرماط، الشريف محداد، مصباح شراحي، خليفة واده، عبد المالك قريد
 (الجنة)، مسعود غمري، عمار فرطاس، مسعود قارة، عبد القادر بلالة، العربي بن
 الهادي فرجاني، محمد كشحة، الطيب بوصييع، محمد الصالح الزاوي، محمد
 علواجي، حشاني نصرات، أحمد بن شعبان، بشير غمري، عبد العزيز بن الهاشمي
 الشريف، عبد الحفيظ السوفي، عريف الجليلي (سليم) عمار أثليجت، بوزيد عبد
 القادر، عبد الكريم حساني، موسى صدار، حمداني إبراهيم (أوزناقة) سي الطب
 فرحات زكريا، سي بوعامة، سي بن سليمان، أحمد زرزوي، محمد حكوم، محمد
 جفابة، محمد بن صولة، عيسى فروج، أحمد ميلودي، محمد بلحاج أمهي، بشير بن
 موسى، مصطفى بن خلف الله، عبد الله سلطاني، بلقاسم مسعودي، العيد لحديجي،
 مسعود غمري، عمر دباخ، محمد الصغير حمودي، علي خنفر، عبد الرحمن
 بومرزوق، أحمد بن الشارف، أحمد رميطي، سي بلقاسم حرز الله، أحمد كرميش،
 ومعمر شبيبة، وغير هؤلاء الأبطال الميامين...

الصوره التقطت في غايه كليل. بأرض المجاهدين من الناحية الرابعة وهم من الجيش إلى
 اليسار: السيد عثماني، موسى جلاي، سي أحمد بومرف، شهيد إبراهيم عجمي،
 بلقاسم شاطري، عمار عثماني، شهيد، المايش قرازي. واعتقد أنه أصغر جاهد في
 الأوزاس أثناء الثورة المسلحة وتطاول الجحيم شهيد.



رجال الرمال

في خريف 1956 بعد أن تم تنظيم الجهة سياسيا، وعسكريا بإعداد المجاهدين للعمليات الكبيرة والطويلة التي تحتاج لكفاءة عالية من التدريب والمراس الميداني.

وجه سي الحواس، أفواج الجهاد والتحدي للتوغل في عمق الصحراء، وإحكام سيطرة الثورة على كل منفذ بها، وكان التصاعد المطرد للثورة، قد ساعد على انطلاق الأفواج والفرق، نحو أهدافها الخطيرة في عمق الجنوب حيث الرمال والأرض، التي تحتوي على الكثر الذي تطاحن عليه الغرياء لإحرازه، ولكن ما كل ما يتمناه الطامع يناله، فجيش التحرير بالمرصاد للجشعين الشرهين، الذين يواجهون وفق خطة مدروسة مرحليا ونظاميا وعسكريا وسياسيا.

انطلقت الأفواج على بركة الله، حاملة آمال الأجيال في دفن أطماع فرنسا إلى الأبد، وهم يدركون أن الحرية غالبية الثمن ولكنهم مستعدون، ليقدموا في سبيلها أعز ما يملكون، متحملين مشاق الصحراء، مناخها، حرارتها، رمالها، ولقنوا بذلك الغزاة دروسا في الصبر والمقاومة والحرب.

حقيقة، أن أفواج ووحدات جيش التحرير واللجان الشعبية، واجهت في الصحراء صعوبات جمة، من حيث طبيعة الأرض الجرداء، التي لا يوجد فيها وسائل التستر والتخفية والتعويبة المعروفة في الحروب، وصعوبة معرفة المسالك ليلا، ومشاق البحث عن الحواسي⁽¹⁾ (آبار المياه) وقلة السكان لتوجيههم نحو أهدافهم، والمسافات البعيدة بين الواحات والرحل، ومخاطر مجازفة السير في السباح، وأحيانا لا بد من مواجهة كتبان الرمال، التي تكسو معالم الطرق، ويصعب على المشاة أو الدليل معرفة المسالك

(1) الحواسي: جمع حاسي، ومعناها بئر، وهي كلمة سريانية، والسريانية لغة سامية قديمة.



أو الاتجهاد، دون أن ننسى الكثير من المشاق، والمخاطر، والمهالك، كانتشار الحشرات والزواحف الضارة والمؤذية وغيرها من العراquil والمعيقات التي يستحيل حصرها أو معرفتها.

ورغم تلك الحياة التي لا نطاق تحمل المجاهدون الصابرون كل ذلك وأكثر، غير أن ما ذكر يعتبر في حكم الحياة العادية والطبيعية، مقارنة بالمطاردات العنيفة، والملاحقات الشرسة برا وجوا، والمتابعات التي لا يمكن التخلص منها من طرف القوات الفرنسية المزودة بأحدث الأسلحة الفتاكة، والإمكانات الكثيرة المستعملة في الكشف عن المجاهدين في اليباء.

انطلقت طلائع أفواج الجهاد والتحدي، بأمر من القائد سي الحواس، وتوجيه قائد ناحية مشونش، محمد بن المسعود بلفاسمي، ميممة صوب الجنوب، لتجعل من القلاة المترامية الأطراف، مقبرة كبيرة لاوهام الغزاة العظامين، فكان فوج البطلين عمر إدريس وسي لخضر روني. المتكون من الفاوير الشجعان: مسعود الشرقي وعاشور محمد الشاوي، حسين شليل، عبد الحميد سعيدان، ناصر علي، عبد الله سلامي، محمد بلفاسم الجوكي، عمار بوزور (بضم الزاي والراء وتشديدهما 11) ومولود بریش.

كان أول اتصال لهم بمدينة طولقة حيث تجند معهم الأخوين: محمد بلحاج ومرزوقي ثم واصلوا زحفهم نحو اولاد جلال، حيث كان في انتظارهم البطلين محمد بلهادي وأحمد بالأكحل، والقرب من اولاد جلال، تم اللقاء بالمجاهد عاشور سي زيان.

لقد تمركز الأبطال في المكان المسمى بدوم الخرزة واستمروا في اتصالاتهم، وتكوين الخلايا والمجالس واللجان الشعبية وتعبئة سكان ناحية اولاد جلال، وتوسيع نشاطهم الثوري، فكانوا يجبل بوكحيل ناحية بوسعادة، حيث واصل الفوج بقيادة بطلنا عمر إدريس، عمله في تكوين النظام بهذه الجهة، وفي ظرف سبعة أشهر وبمساعدة المجاهد عاشور سي زيان، وأوامر القائد سي الحواس، تم تجنيد جيش يزيد عن (400) أربعائة مجاهد، ونذكر من هؤلاء: الحاج علي إدير، محمد بن زيد (بن صابر) راج تينة، محمد مغربي، عبد الرحمان عبادوي، عبد المجيد بن حبة، الحاج بن

عدي، مخلوف بن قسيم، علي الشريف، جلول بوهالي، لعلادوي حمة، محمد الشريف خير الدين، محمد شنوفي، محمد قادري، عبد الكريم زميرلي، غنياري الجلالي، محمد الهادي بوغزالة، عبد القادر بريك، العربي سعدين، الطاهر خوازم، دين دينة، أحمد كرميش، ابراهيم طواهرية، مخلوف بن قسوم، بشير مديرة، العربي بن الهادي فرجاني، الصالح معاش، الطيب فرحاني، الصالح ابراهيم، سليمان سليمان (لكحل)، عيسى النوي، محمد طالي، محمد الصغير خمخم، عمر توام، عبد القادر كشيدة، لخضر هالي سليمان عاشور، عبد الرحمن غربية، العربي بايزيد، عبد القادر عويطة، عبد الرحمن بن الهادي وغيرهم من الشجعان الأشاوس.

وتواصل تدفق الأفواج لإرساء دعائم الثورة، التي سبق بركانا غاضبا ملتها في وجه عملاء الحلف الأطلسي، وشذاذ الآفاق وأعداء البشرية، والحياة، فكان من أجل ذلك فوج: البطل محمد عبدلي، الذي كانت وجهته جبال الزاب، وفوج البطل حسين عبد السلام والبطل الصادق جفروري، اللذين مرّا على جبال الزاب، وواصلوا زحفها وتوغلها في مجاهل الصحراء، حيث يمكن للعدو أن يجد موطئ قدم، وفوج البطل محمد جفابة، الذي وصل إلى غرداية، ثم واصل تقدّمه في ظروف صعبة للغاية إلى تامنراست، وفوج البطل علي شريف، لعقد اتصال بالولاية الثانية عن طريق البيض، وفوج البطلين ابراهيم جياوي ومحمد بلعيد، الذي توجه إلى جهة مدوكال وضواحيها، وفوج البطل رمضان حسوني الذي يعتبر الدعم المضموم لأفواج الصحراء حتى تواصل مهامها وتحقيق أهدافها.



أسيرة محبوبة

لقاء الأبطال

كان على القائد سي الحواس، أن يحصل على وثائق مؤتمر الصومام، فكلف الضابط الملازم الثاني مسئول الناحية، نورالدين مناني، بالتوجه إلى العاصمة للاتصال بالقائد محمد العربي بن مهيدي، وإحضار الوثائق.

سافر الضابط في شاحنة خضراء من قرية (الجب) وبعد مغامرة طويلة، طول المسافة التي تمتد أكثر من سبعمائة كيلومتر، وصل المفوار إلى القائد محمد العربي بن مهيدي، وبلغ له تحيات سي الحواس وطلب منه تزويده بمقررات مؤتمر الصومام، فكان له ما طلب.

عاد الضابط المسئول ومعه الأمانة الكبيرة، وفي جبل مساعد عقد سي الحواس اجتماعا مع القائد عاشور سي زيان، دام يومين، اطلعا خلالها على الوثائق وتمتعا في فحواها، فاتفقا على توحيد التنظيم والجيش، حسب ما نصت عليه المقررات، وأخيرا المجاهدين بما كان في المؤتمر، وبما تم بينها، من توحيد الولاية سياسيا وعسكريا، وبلغا المسؤولين، أنه إذا غاب أحدهما ينوب عنه الآخر.

إثر ذلك، التحق سي زيان بجهته، وسي الحواس بوجهته، جبل معارقة، حيث وجد حشدا من المجاهدين في الترقب والانتظار، فخطب فيهم شارحا، ومفسرا التعليمات الجديدة تحت قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

وفي جبل زغوان، تلقى سي الحواس رسالة من العقيد عميروش يطلب منه الحضور إلى الولاية الثالثة للتشاور وتوحيد عملياتها.⁽²⁾

(1) عن المجاهد محمد شوقي، مجلة أول نوفمبر العدد 90-91 مرجع سابق.

(2) في هذه الأثناء كانت عملية (الطير الأزرق) قد فشلت بالولاية الثالثة ومكونها، أن السفاح القوي لاكوست، كان ينتظر فيها قتل أو إلقاء القبض على القائد عميروش في جبل بربرة، وسكر لذلك (24) جزائري وعشرات الآلاف من الجيوش المختلفة الأنواع والهام في عملية دامية لم يسبق لها مثل في عمليات التحرير.



البطل الشهيد
عاشور سي زيان
(1910 - 1958)

وتفليم مجاهدي الأوراس يسافر سي الحواس إلى ولاية القبائل ، فطلبوا منه عقد
اجتماع قبل السفر، وتحدد المكان، قرية (غلباش) شرقي مدينة بسكرة.

انطلق سي الحواس برفقة (13) ثلاثة عشر مجاهدًا، وخرج على قرية (الحاجب)
حيث عقد اجتماعا بمجاهدي الناحية، بعدها، حزم على تكملة السير إلى قرية (غلباش)
ولذا بالشيخ، أحمد علي الشاب، يشير عليه بأن يترث، فاستحسن القائد رأيه، وما
إن أصبح يوم الاجتماع حتى كانت أعداد كثيرة من قوات العدو لحاصر الجهة، وتقع في
اشتيك غير متكافئ مع مجاهدي الأوراس، فيستشهدون عن آخرهم في وقت الموعد.

إنها المخاطر المحدقة بالأبطال، لكن كل شيء يهون في سبيل استمرار الثورة
وتصميمها، وتوجه سي الحواس برفقة (25) خمسة وعشرون مجاهدًا، صوب الولاية
الثالثة، فمزوا على جبل محارقة، وجبل بوطالب، ومنه إلى حمام الضلعة ناحية المسيلة،
وواصلوا السير حتى كانوا في تراب الولاية المقصودة، حيث كان ملك الجبال عميروش
في استقبال أسد الصحراء سي الحواس.

وفي شهر ديسمبر 1958، كانت الاجتهادات متتالية، وقد تم عرض حال الولاية
السادسة والثالثة، سياسيا وعسكريا، ومدى إمكانية العمل وفق مقررات مؤتمر
العوادم. وفي إحدى اللقاءات التي جمعت القائدين بقوات جرجرة الضاربة وفرق
الأوراس الضاربة، أخبرا حشود المجاهدين باستشهاد القائد البطل عاشور سي زيان
في يوم 08 نوفمبر 1958 م.

عاد العقيد سي الحواس، بعد أن اتفق مع العقيد عميروش، قائد الولاية الثالثة
على تجميع الصحراء والجبال، منطلقة ممتدة، بلا موانع، ولا حواجز طبيعية أو
بشرية، وتوحيدها في وجه العدو الفرنسي الغاشم، وتعللا، صمد إلى إحداث هياكل

(نظرة أنه يستطيع بها تطبيق أسلحة الطبيعة والتصديق بقوته القوية المعروفة (ريح السامة الأسير) لكن الثورة
كانت بالرماد، حيث تركت الأعداء يقيمون في عطفاتهم لضيق الثورة، من الداخل، حتى صاروا في دائرة لا
خرج منها، حدث الإنجليز فقال بأنهم من القائد المخلص، ففلس على كل من له يد في الثورة خاصة من
المجاهدين.

جديدة للولاية السادسة، نذكر ونقدر المستطاع الأبطال الذين حملوا مشعل الثورة في هذه المرحلة، وهم: السعيد بن شبيب، العربي بمرير، الصادق شبشوب، محمد شمباني، عمر صخري، الشريف خير الدين، السعيد عبادو، محمد رويته (غتان) السبني وزاني، اسماعيل خليف، عمار كردودي، محمد بن عمار مزباني، إبراهيم قلوب، محمد بلهادي، أحمد بن إبراهيم، الحاج بوركن، دحمان عسوسي، الهاشمي بن جديدي، محمد هندراوي، أحمد بن إبراهيم، محمد لخضر تيطاوين، نور الدين مناني، علي قاضي، محمد السبع، حفناوي علوي، الربيع لزهر، مسعود ميلودي، علي عمران، عمر شلبي، رايح طينة، قويدر غرب، أحمد حشاشني، عمر زلوف (سليم) عمار بركات، عمر زيان، مخلوف بو غضبان، ساعد بن لخضر، علي مهدي، الدراجي لكحل، علي بن مسعود، عبد القادر ذبيح، أحمد عبادي، إبراهيم توام الصالح دريش، الشريف دولي، أحمد معاده، العلمي جفال، السعيد مرغمي، المبروك زديرة، محمد برمة، أحمد العايب، بوزيد ركيبي، ضيف الله رحال، علي زعروري، علي مهيري، العيد بن عبد الباقي، العمري عامرة، بركات الطيب، خنفر عباس، عمار معكوف، محمد دمان، عبد الحفيظ هاني، المبروك العقبي، الورددي باشا، وصالح خالدي وآخرين من الأبطال...

المهمة والعبور

تواصلت عمليات جيش التحرير في الولاية السادسة، فكانت الهجمات البطولية التي تكادت أن تحطم قوات فرنسا، وتقضي عليها نهائيا، خاصة بعد المرحلة الجديدة التي قطعتها الثورة في التطبيق العملي الشامل لمقررات مؤتمر الصومام في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية، حيث قُسمت الجزائر الى ست ولايات، وحشدت تمهيدا تاما، وأدخلت الرتب العسكرية، وأصبح جيش التحرير منتظما تنظيميا حلييا، ومدربا تدريباً عسكرياً متيناً، فكان لهذا التنظيم الجديد صداه في الداخل والخارج، فتحدثت معالم الثورة الجزائرية كثورة تحريرية شعبية عارمة شاملة لجميع الميادين.

إن فرق المجاهدين المتابعة التي اقتحمت مجاهل الصحراء، وجدت أبناء هذه المناطق، كلهم عزم وإصرار، وتأهب على مواجهة العدو، فكانوا في طلائع الفرق والأفواج، أبطالاً صناديد، لا تقف في وجوههم أشق الصعوبات وأقوى العراقيل وأعتى القوات، التي شاركت فيها كل وسائل الدمار، المتواجدة لدى الإمبريالية⁽¹⁾ العالمية، وقد تمكن القائد سي الخواس من مواجهة هذه القوات الهائلة، التي زجت بها فرنسا نحو الجنوب، لتحقيق مآربها الاستعمارية في استغلال البترول، الذي كان قد وعدت به الشركات الأجنبية.

وفي الأول من مارس 1957 أكد (لاكوست) بتشجيع من وزير الصحراء (ماكس لوجون)، أمام مجلس الوزراء، وتمكن من اقتناعهم، بأنه سيتمكن من القضاء على الثورة في جويلية 1957، وطلب من أجل تحقيق ذلك (110) مليارات فرنك⁽²⁾ لصرفيها على مئات الآلاف من الأجناد، والآلاف من الطائرات، وعدد كبير من الجنرالات والعقلاء والضباط.

(1) إن تاريخ مارس 1956 الذي صادق فيه اعطى الأطلسي روسيا على الدخول في الحرب، وخرجت فرنسا التي دافعت به أمريكا دون عجل عن أفقر حرب تحري في أفريقيا، سيكرت لها - بعد ذلك - انتصارها في الجزائر.

(2) مقتربين في أذهاننا التي لا تنسى. حملة المجاهدين الفداء 40 من 3.

(3) لم توافق وزارة المالية على هذا المبلغ، ورفضت أزمة عارمة.

كان على القائد سي الحواس أن يحكم قبضته على كل متفد في الصحراء، فوضع كل الاحتمالات الممكنة، التي قد تؤثر على مسيرة الثورة إيجاباً أو سلباً، ورأى ضرورة السفر الى الخارج لرقد الثورة بالعناد والأموال حتى يستمر الرجال في الحرب الضروس. وفي يوم 04 مارس 1957، عقد القائد اجتماعاً ضم إدارات ومسؤولي الولاية، وأبلغهم بالمهمة الصعبة وأهدافها المتظرة، وأعلن عن توجيهه الى تونس، وأنه عيّن خلفاً له المجاهد عمر إدريس.

وفي السابع من مارس 1957، انطلق القائد بمعية عبد الباقي كمال، صوب الولاية الأولى، حيث انصل بمسؤوليها، ودرس معهم حال الثورة عسكرياً وسياسياً في الداخل والخارج، وبعد مسيرة شاقة، تخللتها المخاطر المهلكة وصل القائد وصحبه إلى تونس.

في مراكز جيش التحرير المتقدمة اجتمع مع قادة جيش التحرير، وعقد معهم جلسات عمل، وتفقّد أوضاع مجاهدي الولاية الأولى والسادسة، وزودهم بتوجيهاته وتعليماته، وكانت له لقاءات واجتماعات مع بعض قادة الداخل، وأعضاء من مجالس الولايات، وتقابل مع الرئيس الحبيب بورقيبة^(*)، وحضر مؤتمر تونس الصحني في يوم 22 مارس 1957.

واجتمع مع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ⁽¹⁾، ووجد أن الميدان اللذان أقرهما مؤتمر الصومام: تقديم الداخل على الخارج في المسؤولية والرأي، وتقديم السياسي على العسكري، يعتبران المسألة الحرجة، التي تطرح بكثير من التحفظ والحذر، وعلم أنه بسبب ذلك، كان هلاك الكثير من المجاهدين في الداخل (صراع الجبهة والجيش) في الولاية الأولى، ونسبة العديد من الأبطال في الخارج.

(*) الحبيب بورقيبة ولد (1903 -) بالتونسية، وحضر أول رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال في 20 مارس 1956 ثم أعاد الشعب انتخابه في 8 نوفمبر 1959، وفي رجب ومجاهدا أكبر إلى 7 نوفمبر 1987، حيث وقع عليه حصة أعضاء تقرير، يقول: بحجزه عن مواصلة الحكم، وخلفه زين العابدين بن علي في رئاسة تونس.

(1) لجنة التنسيق والتنفيذ، تمثل هذه الأركان الحرب العامة، ولها السلطة التامة في مراقبة المنظمات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، ومكيفة وإنشاء ومراقبة اللجان المختصة التي يكون مركزها، الجزائر العاصمة.

نهاية المرتدين

في مطلع عام 1957 باشرت فرنسا بتنفيذ مشاريعها الإستعمارية في الصحراء، إلا أنها اصطدمت بالمجابهة العنيفة، فكان عليها، أن تجد قوة إضافية، لما دفعت في الميدان، فكان الجنرال (محمد بن لونيس)^(*)، الذي أصبح قوة ضاربة، بل درع لحياة تلك الشركات التي سال لعابها، طمعاً في ثروات الجزائر.

فكانت الحركة المرتدة، التي حاولت أن تغالط الرأي العام الجزائري، بدعوة الإنفاق مع فرنسا على الإستقلال الداخلي، ولتحقيق هذا الهدف عمدت السلطات الفرنسية إلى توجيه المرتدين بقيادة (ابن لونيس) إلى المناطق الصحراوية.

قامت هذه الحركة المسلحة بأعمال إجرامية لا تغفر، كان هدفها القضاء على الثورة، لذلك كان على القائد سي الحواس، مواجهة هذه الخطة بكل حزم وقوة لإفشالها، والقضاء عليها سياسياً وعسكرياً.

وكان من نتائج مواجهة هذه الحركة أن ظهرت حقيقتها للشعب، إذ أدرك أنها تابعة لفرنسا، خاصة بعدما تأكدت اتفاقية (ابن لونيس - لأكوست) التي تهدف إلى تخجير الثورة من الداخل.

(*) محمد بن لونيس: كان عضواً بارزاً في الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع الثورة المسلحة 1954، لكنه في فترة الخلاف الذي نشب داخل الحركة وانقسامها إلى مركزيين وجهويين ونصاليين، اختار هو الفريق الأخير، وأصبح من أغنى أعداء الثورة التحريرية وأحد القضاة لصالح الحاج، بالتنسيق مع العدو الفرنسي، الذي تولى من سوطها لمرقلة مسيرة الثورة وضربها بأبناء الشعب المغرور بهم.

طالع: شاهد على اغتيال الثورة، مذكرات الزائد سي لحضر بورقعة، دار الحكمة للدراسة والنشر، طاب 1990، ص 8.

إلا أن استراتيجية قادة الولاية السادسة، نجحت في التصدي مباشراً وعسكرياً للحركة، حيث هزمت قوات العميل المسلحة، في أكثر من معركة شر هزيمة، وصمدت من ولايات⁽¹⁾ أخرى، وطوردت قلوبهم في قبلي الصحراء وقادها على مرأى من القوات الفرنسية، واستسلم أفرادها زمراً مهانة إلى جيش التحرير، لذلك لجأ «ابن لويس» إلى الانتقام والإسقاط الأعشى، والقتل الجماعي والسلب والنهب.

توالت هزائم «ابن لويس» وارتفع عدد القتلى والجرحى في صفوف قواته، الأمر الذي كانت تحشاه المخابرات والقوات الفرنسية، وتسمى بكل ما عندها من دعم عسكري وغيره، الحيلولة دون حيلولة، إلا أن الحركة، نهضت بسبب الصربات الموجهة لها من أبطال الصحراء الأشاوس، وتفككت الحلقات القشة إلى حد أقام المرند «ابن لويس» على قتل أقرب مساعديه، وكان ذلك إيذاناً بانقجار الحركة، نشب القتال بين عناصرها، سقط خلالها عدد كبير من القتلى والجرحى، وأصبحت الحركة مشلولة، بحيث أصبحت عاجزة عن مواجهة الميدان بكل معطياته.

انتهى «لاكوست» وقادته إلى الاقتناع بفشل الحركة، وأصبح هدف القوات الفرنسية هو العمل دون تمكين جيش التحرير من الأسلحة، التي زودوا بها جنرالهم المهزوم «ابن لويس»⁽²⁾ وتوجهت حملات كبيرة من معظم جهات الجزائر ووراء البحر لإرجاع ما يمكن استرجاعه من الأسلحة المتطورة الفتاة التي إن وقعت في أيدي جيش التحرير ستكون وبالاً محققاً على فرنسا وقواتها المتهاجرة.

(1) ظهرت قوة ابن لويس بإحدى جهات الضفة الشرقية لوادي الصومام بالولاية الثالثة، حاصم العقيد صبيروس بعدة فصائل تلك القلوب، وأحدث بها خسائر كبيرة، حيث هلك معظمهم في المعركة واستسلم البقية الآخر وانضم بعضهم إلى صفوف الثورة.

(2) في صيف 1958 اتجا ابن لويس، إلى عرش أولاد عامر في بوسعادة، وفي ظروف ملهنة وثابتة متفجرة بالارتباك والفسوس لي مصرعه في 19 جويلية 1958م.



قوة ابن لويس

ويصاب بنكسة وخيبة، وشعر أنه أصيب كذلك في شره العسكري، وسمته أصبحت
سيئة الصيت في المحافل الدولية بسبب سياسة حكومته⁽¹⁾.

من أجل ذلك، وأكثر، قام الجيش بانقلاب في الجزائر في 13 ماي 1958، حيث
تمكنت فرقة من عساكر الظليين باحتلال قصر الولاية العامة⁽²⁾، والبنامات الإدارية
الرسمية، يومها خرج المصريون في مظاهرات ساخطة على ما وصلت إليه حالتهم
(المزرية) من تقيت في معنويات جيش فرنسا، وفي حياة المعمرين التي أمت لا نطاق
من كثرة الخوف من شبح الثورة المسلط عليهم، فأنشأ لجنا برتانة (جاك ماس)
ولادوا بالجنرال (دوغول) ليتولى الحكم، وينقل ما يسكن انقاذه من كرامة فرنسا المهانة
المرغة في أحوال الذل والعار.

في هذه الأثناء، تمكن الجنرال (جاك سوستيل) من الفرار إلى الجزائر ليشترك في
الحركة يوم 17 ماي، وأعلن ثالثهم الجنرال (سالان) تضامته مع الثمرين، كما أن
الجنرال (دوغول) أعلن، بأن الوقت قد حان لأخذ زمام الأمور، وأنه مستعد لتسلم
السلطة، وتسارعت الأحداث، فأصبح الجنرال رئيسا⁽³⁾.

وأعلن الجنرال (دوغول) عن خطته التي سيطبقها في الصحراء، فكانت أولى
خطواته في حاسي مسعود وحاسي الرمل ونفرت، ويدو أنه عثر على معجزة
الصحراء، وأنه قد وجد مصير فرنسا في الرمال، وأن الشعب الفرنسي سيحقق بفعل

(1) تساقطت الحكومات الفرنسية ثابعا، أمام زحف وغرقت الثورة المسلحة فكانت:

- حكومة مالديس فرانس في 1954.
- حكومة ايدغار مور في 1955.
- حكومة هي موله في 1956 والتي سقطت في 21 أبريل 1957.
- حكومة بورجيس مونيرو في ماي 1957 إلى 30 سبتمبر 1957.
- حكومة فيليكس غايار من 15 نوفمبر 1957 إلى أبريل 1958.
- حكومة فليفلان التي لم تمش أكثر من شهر لغاية ماي 1958.

(2) مقر اللجنة المركزية لجهة التحرير الوطني (حاليا).

جنرال الثمرين

أهاج فرنسا الانتصارات التالية لجيش التحرير، وفشل مخططاتها العديدة، خاصة
تلك التي وضعت لتكون درعا واقيا، لعمل الشركات الأجنبية في الصحراء، وأغاضها
التزايد المستمر لصالح الثورة الجزائرية، وحققت على الدول المساندة لها، ولم يكفها أن
قامت بالعدوان على مصر^(*)، بل قامت باستفزازات على الدول المجاورة، فكان
الهجوم القادر على ساقية سيدي يوسف^(**) في 8 مارس 1958، وقررت انتقاما للثورة،
إقامة منطقة محرمة على طول الحدود التونسية - الجزائرية، وتمثل ذلك في مخطط
(شال)، حيث يعمد إلى جمع كل القوات العسكرية الفرنسية الاحتياطية الموجودة
بالجزائر، وتركيزها في مناطق الحدود، لمحاصرة فرق جيش التحرير المتواجدة على تلك
الجهة، ومحاولة العثور على مستودعات السلاح والمؤونة والذخيرة، والقضاء على
الأجهزة الإدارية لجهة التحرير وفي نفس الوقت يستعمل الطيران والمدفعية لمراقبة الجهة
المتاخمة للحدود ودكها بالقتال.

إلا أن جيش التحرير، بنى سيد الموقف، في استطاعته، أن يواجه القوات الفرنسية
عندما يريد، ويغيب عن طريقها عندما يشاء، وهذا ما جعل الجيش الفرنسي يتذمر

(*) هناك أسباب غير مباشرة للعدوان الثلاثي (الفرنسي - الصهيوني - البريطاني) على مصر في أكتوبر 1956،
منها: محاولة الدول الاستعمارية، إعادة البلدان المنحرفة إلى نفوذها، ومنع المساعدات العربية عن الثورة الجزائرية،
أما السبب المباشر: عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر، في 26 تموز/جويلية 1956 في الاسكندرية، تأميم قناة
السويس، ليتمكن من مواردها تغطية بناء السد العالي.

كان الهجوم القادر، وكانت المقاومة الباسلة خاصة في مدينة بور سعيد، وهزمت القوات المعنوية شر هزيمة،
وعادت القناة لأصحابها الثمرين، وبذلك تحررت مصر نهائيا من أي ارتباط سياسي أجنبي. للتفاصيل، راجع
جهد كفاح، أحمد توفيق الدين، القسم الثاني، ص 224 وما بعدها.

(**) طالع بالتفصيل، حقيقة العدوان الفرنسي اللقيم، الذي حطم بلدة (ساقية سيدي يوسف) على الحدود
التونسية - الجزائرية، ودفنوا تميها على نفوس تن بها بين سكانها التونسيين، ومن لا يهتم من المهاجرين
والقائمين الجزائريين، انظر المرجع السابق، ص 366.

الصحراء دورا تاريخيا، وبذلك أعلن الجنرال عن قانون البترول⁽¹⁾ الذي سيضع حداً لانتظار وتردد الشركات الأجنبية في الإقدام من إيداع رؤوس أموالها، فكانت المنح والامتيازات مع تخفيض هام في الضرائب، وتعهدت الحكومة الفرنسية على أن لا ترفع نسبة الضرائب البترولية لمدة طويلة.

يبدو أن قانون البترول والامتيازات اللامشروطة في الاستثمار، دفع بشركات إيطالية، وأمريكية، وألمانية، ويابانية، نحو هذه الآمال، ومن أجل تحقيق ذلك، كانت العمليات الرهيبة الضخمة، التي نشأت في محاولة إلقاء القبض على قادة الثورة حتى يحدث ذلك هزة نفسية عميقة، وتتحطم معنويات جيش التحرير، ويتأكد العالم من (قوة فرنسا) وأخيرا فشلت عبقرية الشر بهزيمة جنرالات⁽²⁾ فرنسا وتوابعهم العقداء، وعجزهم تماما في التأثير، أو القضاء على الثورة في الصحراء.

هؤلاء المسكرون، ما انفكوا ينهرون من مواجهة الواقع المرير، فيلجئون الى التصريحات الرسمية المزيفة ليوهمون مواطنيهم بها كقولهم: بأنهم على وشك الانتصار، وأن أساليبهم، خصوصا الخطوط المكهربة على طول الحدود التونسية، والمغربية ستقضي

(1) أهم بنود قانون البترول تنص في الآتي:

- 1 - منح امتياز لمدة عشرين سنة، تحصل خلالها الشركات البترولية على تخفيض هام في الضرائب.
- 2 - إزالة الحرية للشركات البترولية في أن تتنافس مع الدولة الفرنسية حول تحديد وحقوق الجبايين.
- 3 - في استطاعة هذه الشركات أن تنقل ثقل البترول الى المكان الذي تريد بواسطة الأنابيب.
- 4 - إعطاء الشركات الشفطة نصف الأرباح أي أكثر بكثير من نسبة الأرباح التي تقام على أساس اتفاقيات البترول.
- 5 - إذا حدث خلاف بين الشركات والسلطات العامة بترول مجلس الدولة (أعلى منظمة قضائية) ففس النزاع.

(2) تولد التباين الكبير في الجدول أدناه بين قوات فرنسا وقوة الثورة المسلحة في مطلع 1958:

النسبة المئوية	بالنسبة للثورة
(80) جزائري	لا شيء
(300) عقيد	(9) عقدا
(1200) رائد	(18) رائد
أكثر من مليون عسكري فرنسي	(20) ألف معاهد سلاح

على الثورة، وهم بذلك يدفعون ثمننا غالبا امام شعوبهم المروعة بهم، بل أنهم يدركون، بأن هذه المحاولات لن يكتب لها النجاح، أمام غريبات الثورة التي انتصت. وحدث في يوم 19 سبتمبر 1958 أن أعلن عن ميلاد أول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية، وجاء الاعلان رسميا، في داخل الجزائر وفي عواصم الأنظار العربية واخرت ست دول بالحكومة الجزائرية منذ الساعات الأولى، وهي: العراق، تونس، مصر، باكستان، اليمن، وليبيا.

وكان الاجتماع التاريخي، بين قادة الثورة بين 17 - 12 نوفمبر، من نفس السنة، في جبل عسكر بالشمال القسنطيني بالولاية الثانية، ضم ممثلين عن الولايات، وكان هؤلاء القادة الأفذاذ:

الولاية الأولى - العقيد: الحاج لحضر.

الولاية الثانية - العقيد: حسين روايح.

الولاية الثالثة - العقيد: عميروش.

الولاية الرابعة - العقيد: محمد بوقرة.

الولاية الخامسة - لم يحضر ممثلها نظرا للحصار المطوق عليها.

الولاية السادسة - العقيد سي الخواص.

في هذا الاجتماع تم عرض حال الثورة، فكانت الآراء والمناقشات حول إمكانية التنسيق بين الولايات، لمواجهة الخطط العسكرية التي أقدم على تنفيذها الجنرال (دوغول) وقوات الخلف الأطلسي، وتم تعيين وفد للسفر إلى تونس، وكانت القيادة عميروش وسي الخواص⁽¹⁾، للقيام بهذه المهمة في الخارج.

(1) راجع، شاهد على الحبال الثورة، الفصل الأول، سنة 1984، منشورة بوزارة الثقافة في الجزائر. القيادة في الخارج، مصدر سابق، ص 7، وما بعدها.

لكن إرادة الرئيس الأمر (شارل دوغول) الشريرة، وغيروته، التي طُرت على الإجرام وحب الانتقام، جعلته يعين أعنى السفاكين في حرب الصحراء، فكان المارشال (فولتان) والجنرال (قودان) والعقيد (دوكاس) ووضع تحت إمرتهم كل القوات المتواجدة في الجزائر.

وفي النصف الثاني من شهر مارس 1959 التحق العقيد عميروش بالقائد سي الحواس، قادما من الولاية الثالثة، رفقة كاتبه الخاص، آيت معادة، وحارب الشخصي الملازم، محمد الشريف شافعي.

كان هذا الاتصال بجبل «المهشم» بالناحية الثانية، بالقرب من طولقة من الناحية الشمالية الغربية، فانهقد اجتماع للجيش، خطب فيه العقيدان عميروش وسي الحواس، وفيه تكلم قائد الولاية السادسة إلى إدارات الجيش، عن قرارات اجتماع الولاية الثانية. ويضيف المجاهد محمد بن زيد⁽¹⁾ المرافق للعقيدين في عرضه لحوادث مشهودة من الكفاح المتواصل، فيقول: (ومكثنا بجبل المهشم، حوالي أسبوع، ومنه تحولنا إلى جبل «ميسونة» الناحية الأولى، المنطقة الثالثة قرب وادي الشمبر، حيث مكثنا حوالي أسبوع أيضا، تمت فيه عدة اتصالات مع ضباط الجيش.

وفي يوم 28 مارس مساء، أمرنا سي الحواس بالتحرك، ولم تكن ندرى إلى أين، وكان عددنا (38) مجاهدا، ما بين ضابط وجندي، وكان معنا المجاهد سي محمد الشريف بن عكشة، الذي أتى من الولاية الأولى رفقة عدد من الجنود.

وقد علمنا، أن محيي العقيد عميروش إلى الولاية السادسة، كان يقصد الالتقاء مع العقيد سي الحواس إلى تونس عن طريق الجنوب، الذي يمر بوادي سوف، وكان من المقرر أن لا يرافقهم من الجنود إلا عددا قليلا.

(1) المجاهد محمد بن زيد المدعو أثناء الثورة التحريرية (بن صابر) من مواليد سنة 1930 بمدينة البقعة، أصبح بصوف جيش التحرير في أواخر سنة 1956 بالحدود الجزائرية - الليبية، ثم بوحدات جيش التحرير بالحدود الجزائرية التونسية التي كانت بقيادة الزاهد الحاج علي ليدبر، اجتاز خطي موزيس وذلك عام 1957 في عملية بقيادة عمار (لاندوشين) أثناءها خاضت الدورة معركة مع العدو استشهد بها (14) مجاهدا، وفي أواخر سنة مارس 1958 التحق بالولاية السادسة وأسندت له مهمة الاشراف على الفوج الكفاحي لمراسلة العقيد سي الحواس.

موعد مع الخالدين

في مطلع 1959 دبّ اليأس والمقت في أوصال القوات المعتدية، وأشرفت على الهلاك، بعد أن تم سحق حركة «ابن لونيس» المرتد والقضاء على توابعه المأجورين، الذين تأمروا على الثورة.

وأدرك، قادة فرنسا والحلف الأطلسي، خطر قيادة الصحراء على مخططاتهم، وعرفوا قدرة وبطش جيش التحرير، فزجوا بما يملكون من قوة بشرية وقدرات مادية، ونفوذ ومكائد أصحاب الشركات الأمريكية والأوروبية، لتحرير مؤامراتهم الرامية إلى جعل جنوب الجزائر أرضا مشاعا، لكل من يمد يده لضرب الثورة، وإياداة الشعب الجزائري.

وبانت مهمة الجبهة أكبر وأشق في الداخل والخارج، ومهمات جيش التحرير أصعب وأخطر، وقد اعتمد في هذه المرحلة على مبدأ الضربات المتلاحقة، التي لا تعطي فرصة للعدو، لإعادة تكوين قواته المنهارة المنحجرة في الفياقي والقفار، التي لا ترحم ولا تشفق على الغرياء والدخلاء.

إنها أمرٌ وأخطر مرحلة يمر بها أجناد أوروبا المعتدية على أرض الجزائر، فالتناد الثقيل ينقصهم، والسلاح الخفيف لا يكفيهم، والطائرات لم تعد كالأيام الخوالي، تقوم بمئات العمليات في ظرف أسبوع واحد.

والعسكري الفرنسي، لم يعد ذلك المعتد بنفسه في صلف وعجرفة، حيث كان يظهر بطولائه أمام النساء والشيوخ والأطفال، بل أصبح هيكلا من الإعياء والقلق والتذمر، والنقمة، على قدره البائس وحظه العائر، وأمسى كيانه مشنوبا بالهلع والخوف من ضربات جيش التحرير، وعلى شفتيه صبيحة واحدة (لاكي، لاكي) أي التسريح.

لقد كانت المسافة بين المكان الذي انطلقنا منه مساء يوم 28 مارس، وبين المكان الذي أصبحنا فيه، لا تقل عن (70) كلم. وكنا خلالها ركوباً على ظهور الإبل والحيل، وذلك من جبل سيموة إلى جبل ثامر⁽¹⁾ بالقرب من بوسعادة.

وفي الرابعة صباحاً، بدأنا نشاهد أضواء قوافل السيارات قادمة من عدة جهات، خاصة من جهتي بسكرة والجلفة وغيرها، لكننا لم تكن نعرف مقاصدها، عندئذ صرنا الحيل والإبل، لنكمل المسافة مشياً على الأقدام، لكي لا ينكشف أمرنا للعدو، إلا أننا أيقنا بأن العدو، يقصد الموضع الذي كنا فيه، وهو سفح الجبل، حيث كانت الطائرات تخلق على ارتفاع منخفض، حتى كشفتنا وذلك صباح يوم 29 مارس 1959، ومنا ما جعل العقيد سي الحواس يحثنا على الصمود إلى ذروة الجبل، وأبى إلا أن يكون في مقدمتنا، وكان يسبقنا ساعداً خطوة بخطوة مع العقيد عميروش، وصار علينا لئلا أن تبعتها، بسلك أرضية صخرية منحرفة في مجموعة تقدر بثمانية وثلاثين مجاهداً مع كامل أسلحتنا.

وبدأنا بالصمود، وكانت تواجهنا مناطق مكشوفة، لا يحميها غير ارتفاع الجبل، وفضاء أزرق، وبخظات حية، بلنا المرتفع، حيث تمتا بعملية انتشار ونخندق سرية.

بدأت المعركة حوالي الساعة السابعة، بتدخل الطائرات بالقصف المركز على الجبل، وبعد غارات متتالية وقصف شديد، انسحبت لتضع المجال للمشاة، الذين تقدموا في الجهات من الجانب الشرقي.

وكانت الجهة الغربية، التي لم تصلها قوات المشاة، قد تعرضت لغارات مستمرة من قبل إحدى الطائرات التي شللت الخناق على المجاهدين، الذين كانوا تحت قيادة العقيد الرائد عمر إدريس، وكانوا يملكون قطعة جهازية وفام - بار⁽²⁾ يستعملها الرامي القنصر، محمد مغربي، الذي برز لها في إحدى صولاتها، ووقف أمامها مواجهها ومتحدياً.

(1) جبل ثامر: يقع بحدود من الناحية، بالقرب من بوسعادة، ولاية السعيدة.
(2) فام - بار: قطعة سلاح صمد، أمريكية الصنع.

بكل شجاعة وبطولة، ليلحقها بنيران مدفعه، حتى تمكن منها، لتنهى مشقة في إحدى الشعاب، وتتفجر بمن فيها.

دقت الساعة الحادية عشرة، ولم تكن الشمس كطبيعتها ساطعة، كما أن الضباب لم تعد تمر بها بتناسب والموقف العصيب⁽¹⁾، وأثناءها، هجمت فرقة من القليل الأجنبي على ناحية من الجبل، فتمكنت من أسر مجاهد جريح، وأخذته مباشرة إلى مقر قيادة العمليات⁽²⁾.

عندئذ، وفجأة، توقف الهجوم، وتراجعت قوات العدو، كما توقفت الطائرات عن القصف، لتهدأ المعركة تماماً، وتوقفت كل حركة، وتلاشى الدخان وعم القصف الرهيب.

وما هي إلا دقائق حتى شاهدنا الطائرات المختلفة الأنواع، قادمة من الجهات الأربع، وأصبحت السماء امتداداً للأرض من كثرة ما يصب منها من حمم وعساكر، الذين وبمجرد أن تطلأ أقدامهم الأرض، يسرعون في وضع أسلحتهم على أكتافهم، وأيديهم في أيدي بعضهم، ويتقدمون نحونا كوحوش كاسرة، وحيوانات مفترسة وغريبة، ويطلقون أصواتاً متكررة، وزعزعات مفرقة وعواء مجنون.

ومن هول الموقف، سار كل واحد منا، يحاول أن يبعد السكينة إلى الآخرين، وكان العقيدان عميروش وسي الحواس، يبدوان في خلتها بكامل هيئتها الحربية، وقد اكتسبتها جدبة صارمة، تحت وابل القنابل، والرصاص النهمر على مسافة مقلوبة بالقرب منها.

(1) من استراتيجية مباركة جيش التحرير، القيام بالعمليات صباحاً أو ليلاً، لكن هذه المعركة تبتت صباحاً، لأن فيها كانت المقاومة والصمود، فالطلة الأخيرة لن تكون للشعبيين.

(2) ربما يكون هذا الأسير تحت الطلب، قد أعطاهم معلومات عن وجود العقيد في الجبل، وهذا هو المراقب لها.

اندفعت إلينا قوات العدو من كل حدب وصوب، لتحصد الثقلين منهم، وقد عمدوا إلى عدم إطلاق النار، ليمسكونا أحياء، غير عابئين بخسائرهم الجسيمة في الأرواح، وكانوا كلما سقطت منهم مجموعة، مثل ثوبها مجموعة صاعدة نحواً، ولكنهم لما رأوا استحالة وصولهم إلى مواقعنا، استعملوا أسلحتهم، وكان الرصاص مصوباً نحونا بكثافة، وقد واجهناهم بنيران غزيرة، ونفقهروا عدة مرات، وصاروا يركضون هنا وهناك، دون أن يعرفوا ما إذا كان عليهم أن يفعلوا، وبعضهم يحاول أن يمتطي وراء التلال والأكمات، تاركين قتلاهم، أكواما متناثرة في سفح الجبل بالكلية.

في تلك الظهيرة القاتمة، كانت تحركات العدو واضحة على امتداد البصر وحول الجبل، الذي أضحي كثرة روقه بواجهه أمواجاً عالية، ومطراً غزيراً غزيراً، يهبط من السماء، ودخاناً قاتماً ينبعث من الأرض، وينبع من الخنادق، واختلست الأجواء بالطائرات القاذفة والمقنبلة والحاملة، واكتضت الأرض بالدبابات والصفحات والناقلات، واختفت المنطقة بأنواع الجيوش التي لا يمدحها عاد، وتداخلت أصوات الآليات وأصوات الانفجارات مع بعضها، لتشكل هديراً طويلاً مستمراً.

واختفت الشمس في برزخها فحشى، وصارت الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء، وانتشر الغبار الممزوج برائحة البارود المحترق والخطب بالصخور والرمال، وغاب بعد ذلك ضوء النهار، وتوقفت المعركة تماماً، وكان كل واحد - من الشيعة⁽¹⁾ - يعتقد أنه الوحيد الذي مازال حياً، وتذكر بعض الجرحى والأسرى: محمد بن زيد⁽²⁾ الذي اختفى داخل شجرة نخرة بإحدى الشعاب إلى سقوط الظلام، وأحمد بن محمد بن عكشة برتبة ملازم، وعمر إدريس وكاتبه سي زيان، والميلود سلطان، المبارك باكورة.

(1) حسب رواية المجاهد بن حوز الله أبيك، أن قوات العدو كانت ترصد كالمطارد على الطريق، التي كانت فيها المجاهدون مع الثقلين، وقد استشهد معظمهم بعد أن سقط ثوبهم الثقيل، وأهالوا عليهم دماً بارداً، وضرباً بأحقاب البنادق، ووطئت بالخراب السومة، وولغا بالانقسام القليلة.

(2) رواية المجاهد الجريح محمد بن زيد، نقلت وتصرفت من الكتاب في الأسلوب من عدة أول، وتسمى العددان 91/90. مرجع سابق ص 20 - 23.



مبارك طارية وشهداء أحرار

ابراهيم سانة، اسماعيل خليف، محمد الشريف شافعي، بن حرز الله انيك، بن عزة، وآيت معادة المرافق الشخصي للمقيد الشهيد عميروش.

استشهد ملك الجبال، العقيد آيت حمودة عميروش على إثر جراح قاتلة، أصابته بها شظايا القنابل اليدوية، أثناء احتدام القتال، قاتل أثناءها بكل قواه، وأعطى فيها المثل الأعلى، للشباب الثام في سبيل الله والوطن.

لقد كان مثال التضحية السامية، فاستشهد كبطل ومجاهد، وهب حياته عن إيمان ووعي، من أجل أن تحيا الأجيال القادمة حرة عزيزة. وأضاف بذلك صفحة رائدة في تاريخ الجزائر المكافحة.

استشهد في مكان واحد مع زميله العقيد أحمد بن عبد الرزاق حمودة سي الحواس⁽¹⁾ الذي نظم مقاومة سريعة، وكبد العدو خسائر فادحة، رغم عامل المفاجأة والتفوق الهائل في العدد والعتاد الحربي، قبل أن يستشهد على إثر جراح أصيب بها من طلقات رصاص العدو من مسافة قريبة، لقد استشهد كبطل ومجاهد، متبعاً أروع السنن التي خلفها أسلافه، ودخل إلى الأبد في التاريخ وفي ذاكرة الأجيال القادمة.⁽²⁾

النساء والمهم

على إثر استشهاد العقيد بن، أصدرت وزارة القوات المسلحة بتونس، لواء إلى جيش التحرير الوطني، هذا نصه:

(أيها المجاهدون في جيش التحرير الوطني، إن كل واحد منا يشعر بألم عظيم، لاستشهاد القائدين البطليين عميروش وسي الحواس وإخوانهم المجاهدين الأبطال، الذين كانوا بصحبتهما، وهو ألم له ما يبروه، لقد كان عميروش أمام الاستعمارين المتكالبين، وأمام كل الوسائل الفائلة التي استعملت للقضاء عليه، كان يمثل وجه الجزائر الحقيقي في جلاله وثباته، الذي لا يعرف الضعف.

كان عميروش ذا ارادة قوية، وتنظيم محكم صبر بها ولايته مثالا يحتذى، واستطاع أن يتلاعب بأعدائه، ويجعل جنرالات فرنسيين يشارون أكثر من مرة أمامه. كما استطاع أن يصير أجهزة الدعاية النضبية الفرنسية موضع السخرية المتكررة، كان عميروش بمخصاله كفالة وكرجل وكوطني مثالا لكل جزائري.

وكان سي الحواس مثل جاره عميروش، استطاع أن يذبح ولايته في انطلاقته إلى الأمام، وذلك بفضل إيمانه وشجاعته وبراعته في التنظيم، هذه الصفات التي كانت تميز شخصيته.

إن الجزائر، قد عسرت في يوم 29 مارس 1959 الثمين من أفضل أبنائها، فعمدكم الله برحمته، ولكن إذا كان، واجبتا هو أن تبكي أبطالنا، فإن واجبتا كذلك، يلقي علينا بأن نتشبع بفصائلهم ونسير على خطاهم، أي أن نفتك استغلال جزائرينا المجاهدة، أو أن نموت مثلهم أولياء لما عاهدنا الله عليه.⁽³⁾

(1) مجلة المجاهد العدد 39، 4/2، 1959.

(1) للمزيد من المعلومات، راجع شهادات حية، حول جهاد واستشهاد المقيد سي الحواس، إعداد الأستاذ عبد الحبيب السقا، مجلة أول نوفمبر العددان: 91/90 مرجع سبقت الإشارة إليه من 13 - 23.

وأبشدا، شهادات حية، حول استشهاد المقيد سي الحواس، إعداد الأستاذ حواس بري، مجلة أول نوفمبر 97/96 صفر و ربيع الأول 1418 / سبتمبر أكتوبر 1984، من 86 - 88.

(2) من كلمة الثمين على المقيد بن، ألقاها بتونس، كريم بلقاسم، نائب رئيس الوزراء ووزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة مجلة المجاهد، العدد 40 / 2 أبريل 1959، من 5.

إن عميروش وسي الحواس، قد واجها قوات هائلة، وأعطيا المثل الأعلى في التضحية والاخلاص للقضية الوطنية، لقد كانا مع إخوانهم يواجهون قوات مادية عظيمة، ولكنهم لم يضعفوا في أية لحظة كانت، لأنهم كانوا يعلمون، أن موتهم أيضا سيكون مثلاً أعلى لجميع مواطنيهم.

أيها الأبطال: عميروش وسي الحواس، وبقية المجاهدين، الذين سقطوا إلى جانبها، إنكم بالنسبة إلينا جميعاً لم تموتوا، إنكم تعيشون داخل أنفسنا كمثال عليا، إنكم تقودوننا وتضيئون لنا الطريق، إنكم من أولئك الذين نغبطهم على نهايتهم البطولية، إننا جميعاً نتظر مصيركم بشجاعة وبوعي وحزم، مهما كانت أوهام (دي لوفري) المندوب العام للحكومة الفرنسية، لأن مصيركم في الواقع يتمثل في إلحاقكم بجيش التحرير الوطني في خطواته الأولى، ويتمثل في أنكم شاركتهم مشاركة فعالة في خلق هذه المنظمة، هذا الجيش الذي استطاع بعد بضعة أشهر من تكوينه، أن ينتزع إعجاب العالم كله، وأن ينشر الرعب في صفوف الاستعماريين، وإذن، فما هو المصير الذي يتهددكم به (دي لوفري) .

أيها المجاهدون ..

إن مصيرنا، هو أن ندافع ببطولة وشرف عن الوطن الجزائري إلى آخر قطرة من دمائنا، وهو أن نضطلع في شرف واعتزاز برسالتنا المقدسة وهي تحرير الشعب، وأن مصيرنا أخيراً، هو أن نموت من أجل أن نحقق مثلنا العليا أو نموت دونها ؟ هذا هو المصير الذي ينتظركم أيها المجاهدون الأبطال، إنه مصير عظيم رفيع، وهو جدير بأن نتحمل في سبيله كل الآلام.

إن عميروش وسي الحواس، هما أمثلة لتضحية نبيلة يريد الفرنسيون تشويه ذكراها أمام العالم، لكنكم ستعرفون كيف تتقمون لها، وتبرهنون في الأيام القادمة للمستعمرين، بأن عميروش وسي الحواس وإخوانهم لم يسقطوا في ميدان الشرف بل بنون لمن، وسبرهنون لهم بأن الجزائر مستحرة، إنكم ستواجهون التحدي، إلى الأمام في مرحلتنا الأخيرة في كفاحنا الجبار.

أنتم أيها الشهداء والأبطال، الذين تضالون إلى اخوانكم في البطولة: ديدوش وابن بولعيد، وزينود وابن مهدي. فلتكونوا مطمئنين، إن هذه الجزائر التي دفعتم في سبيلها آخر أنفاسكم الطاهرة والتي تضرجت بدماء الأبطال والأبرياء، هذه الأرض ستعيش حرة مستقلة .

هكذا كانت حياة أحمد بن عبد الرزاق حمودة العقيد الشهيد سي الحواس ورفاقه الميامين، ملحمة تاريخية بطولية، خُطت باللهب والنار، وسطرت على روائي وقاع وبوادي ورمال الصحراء، وقصة خالدة، تروي حياة أبطالنا الصناديد الشجعان للأجيال في ربوع وطننا الحبيب المفقدي الجزائر.

انتهى بعونه تعالى

كتاب

حامي الصحراء، أحمد بن عبد الرزاق حمودة «العقيد سي الحواس»
وبله كتاب

بطل أوراس - النمامشة «القائد عباس لغرور»

43	البيان الأول
49	أعداء الجزائر
53	عقداء العدو
57	التعليقات السرية
60	المهام الصعبة
66	دورية الجبل
71	الأوراس الصامد
76	المجوم العام
81	القلاع الخالدة
85	عناق البنادق
90	الصحراء بيدائنا
92	الصفحات المربعة
100	حامي الصحراء
106	رجال الرمال
111	لقاء الأبطال
115	المهمة والعبور
117	نهاية المرتدين
120	جنرال المتمردين
124	موعد مع الخالدين
131	النداء والعهد
134	محتوى الكتاب

محتوى الكتاب

الصفحة

الموضوع

5	الإهداء
6	مقدمة المقدمات

أحمد بن عبد الرزاق حمودة
(1923 - 1959 م)

8	بداية الرحلة
12	سبل البطولات
16	ويلات الحرب
17	مغازي النهارين
20	جزاء الجزائريين
22	محنة الوطن
23	التجارة الرابحة
27	الهجرة في الهجرة
30	اليوم الواحد
33	طلائع الأحرار
37	المجوم الصاعق
39	الفجر الساطع

ملاحظة

- أرجو من أعزائي المجاهدين، الواردة أسماؤهم في الكتاب، مراسلتي - إن أمكن - وتزويدي بالمعلومات والوثائق والصور، لتثبيتها في الطبعة الثانية.
- أرجو من القراء الكرام، تزويدي بملاحظاتهم واقتراحاتهم لاستدراكها في كتابتي المستقبلية.

• أأمل أن أكون في مستوى الأمانة التاريخية، والله هو الموفق وبه أستعين.

- ترسل المراسلات إلى العنوان التالي:

الأستاذ محمد العيد مطمر ص. ب - 53

الإخوة خزار، باتنة (05000)

الجزائر

ولكم جزيل الشكر سلفاً

• اطلبوا الكتاب من:

- مكتبة النخلة، بداية شارع الزعاطشة * بسكرة.
- مكتبة الفرقان، مقابل مسجد الفرقان، بوعقال الثالث * باتنة.
- مكتبة يوسف مزباني، شارع أحمد بن عبد الرزاق * آريس.



الكاتب في سطور

- ولد في كبدل (آرس) في نوفمبر 1949. وحصل على تعليمه الابتدائي بمشونش (جامع آلماس) حيث حفظ ما تيسر من القرآن الكريم.
- نال الشهادة الأهلية في المعهد الإسلامي بباتنة سنة 1966.
- علم في الفيض (بسكرة) سنة 1967 وشير (آرس) سنة 1968.
- حصل على منحة دراسية إلى الخارج عام 1969.
- درس السنة الأولى ثانوي بثانوية محمد بن أبي القاسم الثقافي بدمشق.
- درس السنة الثانية ثانوي في ثانوية الفارابي بجمص.
- نال شهادة البكالوريا في ثانوية الأعظمية للبنين ببغداد سنة 1973.
- نال شهادة الليسانس في الفلسفة العامة من جامعة بغداد سنة 1978.
- نال شهادة الماجستير (دكتوراه درجة ثالثة) في علم الاجتماع من جامعة بغداد سنة 1984 بإشراف الدكتور احسان محمد الحسن.
- أستاذ علم الاجتماع ومصطلحات الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة.